

١٦١

حكايات

رئيس التحرير أنيس منصور

د. فتحى عبدالهادى الصقارى

التراث الغنائى المصرى
الفلكلور



دارالمعارف

مقدمة

منذ أن خلق الله الكون والحياة ، ومنذ أن وجد الإنسان على الأرض ، وبدأ يدرك ويحس ما حوله من مظاهر طبيعية - صار يحاول تقليد تلك المظاهر بشتى الوسائل والصور المتاحة على حسب إمكاناته البسيطة ، ومع مرور الوقت وتطور حياة الإنسان إلى ما هو أبعد من البدائية - وصل إلى المرحلة التى يمكن أن نعتبره فيها مبدعاً ومبتكراً لما يمكن أن نسميه نحن الآن (بالفنون) ، وذلك دون أن يدرك أو يدرك القيمة الفنية لما يبدعه ؛ فقد كانت بالنسبة له مجرد تعبير عن حاجة اجتماعية أو نوعاً من الطقوس التى ترتبط بوظيفة معينة ؛ حتى وصلت تلك الفنون إلى المرحلة التى بدأت تنقسم إلى نوعين واضحين هما :

نوع بدائى ، ونوع آخر أكثر تقدماً وتطوراً ، وهذا النوع الأخير بدأت تظهر له طبقة من البشر ، يمتنون به ويصبح حرفتهم ، وعلى أيديهم تحدد لكل فن من هذه الفنون (ومنها الموسيقى والغناء) طابع خاص ، وأصول وتقاليد وقواعد تتطور مع تطور الإنسان نفسه وإمكاناته وقدراته ، على حين ظل النوع الأول بسيطاً خالصاً ، يؤديه الإنسان العادى وبشكل جماعى يتسم بالتلقائية ، وذلك كلما دعت الحاجة إلى

ممارسته ، يتوارثونه من جيل إلى جيل . محافظين على بقائه على حاله بعيداً عن تدخل طبقة المحترفين وبعيداً عن التأثيرات الحضارية والأجنبية المختلفة حاملاً بذلك تقاليد كل شعب وطابعه على حدة يطوره ويعدله بما يناسبه دون مساس بهيكلة العام ؛ ولذلك فإن هذا النوع يرتبط بخصائص وسمات معينة محددة ، وهذا النوع الأخير من الممارسة والإبداع الفني قد اصطلح عليه الآن بالتراث (الشعبي أو الفلكلور)

وكلمة الفلكلور Folklore مصطلح علمي عالمي ، وتعبير في اللغات الأوربية ثم العربية وترجمته حرفياً (معرفة - أو حكمة الشعب) وقد عرّبه المجمع اللغوي المصري إلى (المأثورات الشعبية) أو التراث الشعبي .

وسيكون هذا النوع هو موضوعنا الذي سنحاول أن نستوضحه وخصوصاً بعد أن شاعت التسميات والتعبيرات الخاطئة في هذا الشأن ؛ كما أن هناك لبساً شديداً بين تلك المفاهيم والتعبيرات وخاصة بين بعض المجتهدين من غير المتخصصين في أجهزة الإعلام المختلفة والتي لا توضح أو تحدد مفهوم كل مصطلح ، ولا تستند إلى الأسس العلمية في عصر تشتد فيه الحاجة إلى العلم والتخصص بعيداً عن الاجتهاد والتخمين . لذلك يجدر بنا أن نوضح الفرق بين الأغنية الشعبية والأغنية

الفلكلورية ، ثم نتحدث عن الخصائص العامة للفلكلور الموسيقي بشكل عام ، ثم الفلكلور المصري بشكل خاص . وخصائصه وسماته المتميزة . وجغرافية مصر الفلكلورية ، ثم نتعرض له من الناحية الوظيفية ونوعياته المختلفة .

وإن كانت بعض الدول تنبهي «عراة ألوان موسيقاها وأغانياها الشعبية والفلكلورية وكثرتها وتوعها فيها، نستطيع ان نؤكد أنه ليس في العالم كله شعب لديه هذا الثراء والتنوع المتباين . والنضج الموسيقي والغنائى كما لدينا نحن في مصر . وذلك برعم القصور الشديد في العناية والاهتمام بهذا التراث الفنى والحضارى المصرى . بجمعه وتسجيله وتدوينه وتحليله ودراسته ، والاحتفاظ به كوثائق حضارية وتاريخية وفنية . ومع كل يوم يمر نفقد فيه بوقاة أحد حفظة هذا التراث وإلى الأبد - جزءاً لا يمكن تعويضه وخصوصاً أن الجيل الجديد أصبح لا يهتم بذلك ؛ فقد انساق وراء الألوان والتيارات والموضات الحديثة والمستوردة من الموسيقى والغناء بدلاً من الاعتزاز بترائه وأغانيه القومية ! كما ساهمت أجهزة الإعلام والنشر والثقافة في مساعدته على ذلك . ولم تعمل كما يجب على الاستفادة والاستعانة بترائنا وكوزنا الفنية التي يشهد بها العالم . والتي ستظل حتى مهابة العالم علامة واضحة على طريق الإبداع الفنى ، والعبقرية الإنسانية المتكررة والحلاقة .

الأغنية الشعبية والأغنية الفلكلورية

يرمز اصطلاح الأغنية أو الموسيقى الشعبية بمفهومه العام (والذى لم يتحدد بعد حتى الآن فى البلاد العربية) إلى تلك الأغاني التى ترتبط بالشعب ، والتى تنتشر وتشيع بين الطبقات الشعبية من ذوى الثقافة المتوسطة والبسيطة . أو الطبقات التى هى أدنى ثقافة ، أو بمقياس آخر ، بين ما يصطلح عليه بالعامية من ساكنى الأحياء الشعبية بالمدن ، هذا من جهة . ومن جهة أخرى وبين الفلاحين فى الدلتا والصعيد ، والنوبيين وسكان الصحارى من البدو فى الواحات أو الرحل منهم فى الصحراء الغربية ومطروح ، والصحراء الشرقية وسيناء ، علاوة على العمال والصيادين وعمال البحر الأبيض والأحمر ومنطقة القناة .

والمجموعة الأولى وهم ساكنو الأحياء الشعبية فى المدن قد أثر فيهم إلى حد كبير ما فى المدينة من إمكانات التثقيف والتنوير التى يسرتها وسهلتها وسائل الإعلام المختلفة ، بتأثيراتها الواضحة والسريعة وبإمكاناتها الفنية والتكنولوجية ذات التأثير المباشر والمستمر ، مما يتضح الآن من تركهم لبعض العادات والتقاليد والممارسات الشعبية الأصيلة جرياً وراء مظاهر الحضارة الحديثة المادية .

أما المجموعة الأخرى فقد استطاعت هي الأخرى برغم بعض التطورات والتغيرات الطفيفة أن تظل محتفظة بخصائصها وعاداتها وتقاليدها وقيمها الاجتماعية وفنونها ؛ ولذلك فهم يمثلون بالنسبة لعلماء الدراسات الإنسانية Anthropology وبخاصة الفلكلوريون - الركيزة الأولى التي تعتمد عليها دراساتهم ، نظراً لاحتفاظهم حتى الآن بالكنوز الفكرية والفنية والقيم التي أوصلوها إلينا من الأجداد القدامى حاملة لنا تجاربهم وثقافتهم وخبراتهم التي مازالت تمثل للعالم أعظم تراث حضارى إنسانى ، وذلك برغم التطورات والمتغيرات الحديثة الاجتماعية والاقتصادية والثقافية ، ولهذا فإن العلماء والباحثين يحاولون بجمعهم لهذا التراث وتدوينه وتحليله وكشف أسراره - الخروج منه بالنتائج التي تساهم في تركيز وتأسيس قيمنا وأفكارنا وفنوننا بما تحمله من طابع خاص ومتميز.

والملاحظ أنه كما احتفظ الفلاح والعامل المصرى بأدواته وآلاته الزراعية القديمة وأسلوب استعمالها منذ آلاف السنين حتى الآن دون تغيير ، فإنه قد احتفظ أيضاً بآلات أجداده الموسيقية الفرعونية حتى الآن ، بشكلها وتصميمها والمادة المصنعة منها نفسها وعدد أوتارها وثقوبها نفسها حتى في أسلوب استعمالها وضبطها مثل الطمبورة (السسمية) والناى والأرغول والدفوف . . الخ . وهذا يؤكد أن جزءاً من ماثوراتنا وعاداتنا وتقاليدنا وفنوننا الشعبية وأيضاً موسيقانا يعتبر تراثاً متوارثاً قديماً جداً .

كما سبق يتضح أن مصطلح الأغنية الشعبية المنتشر عندنا بلا تحديد ، يعبر عن كل أشكال وأنواع الممارسة والإبداع الموسيقى والغنائى الذى يحمل الطابع الشعبى ، أو الذى يعبر عن البيئة الشعبية أو المنتشر بين الطبقات الشعبية ، أو تلك الأغنيات التى يؤديها فنانون محترفون تابعون أو آتون من الوسط الشعبى ، ويمثل الفن مصدر رزق لهم ؛ كما تطلق أيضاً على الأغاني التى ألفها ولحنها وغناها فنانون محترفون ليسوا من الطبقة الشعبية ؛ ولا يتمون إليها ، ولكنها أغاني ذات نص يحمل الطابع الشعبى أو تدور حول موضوع يتصف بالشعبية ، كما أنها لحن بشكل يحمل الخصائص التى تتسم بها الأغنية الشعبية من البساطة والسلاسة ، وذلك مثل الأغاني التى تخرجها يومياً وسائل الإعلام والنشر المختلفة .

وفى الوقت نفسه هناك نوع أو شكل ثالث من الأغنية الشعبية أيضاً ، وهى الأغنية التى يؤلفها ويلحنها ويرددها الشعب نفسه ، ولا ترتبط بمبدع معين ، كما تتناقلها الذاكرة الشعبية من جيل لجيل شفها دون حاجة لتدوين أو تسجيل ، وهم يغنونها غالباً بشكل جماعى أو انفرادى ، وذلك بغرض التسلية أو الترفيه أو لأنها ترتبط بوظيفة اجتماعية معينة ، أو طقوس ومناسبات محددة كأغاني العمل والأفراح والأطفال . . الخ .

بهذا نجد أننا أمام ثلاثة أنواع متباينة تماماً من الأشكال الغنائية ،

يطلق عليها جميعها تجاوزاً الأغنية الشعبية بلا تحديد للمصطلح أو لمفهوم هذا الشكل من التعبير الفني، وما زالت تتخبط الآراء حوله، ولا سيما بين النقاد والمعلقين والمحريين الفنيين في مجالات الصحافة والإعلام المختلفة الذين ليس بينهم موسيقى واحد متخصص! أما الباحثون في الأدب الشعبي الذين يمثلون الغالبية العظمى من الفلكلوريين في مصر والبلاد العربية فهم يقسمون هذا النوع من الأغنيات غالباً إلى نوعين هما:

١ - أغنية إعلامية أو يومية :

وهذه يقصدون بها ذلك النوع من الأغنيات التي تنتجها يومياً وسائل الإعلام والنشر: مثل الإذاعة والتلفزيون وشركات الأسطوانات والكاسيت . . إلخ ، والتي تعبر عن صورة شعبية ويؤديها فانون محترفون .

٢ - الأغنية الشعبية :

وهذه هي الأخرى يدور حولها الجدل ، وبعضهم يستخدم هذا الاسم أو المصطلح للدلالة على الأغنيات الدارجة المنتشرة شعبياً ، ولكنها ليست تلك التي تحمل خصائص الأغنية القديمة التراثية ، والتي تتميز بالإبداع الجمعي الشعبي . على حين يستعمل بعض آخر المصطلح نفسه (الأغنية الشعبية) للدلالة على الأغاني التراثية الموروثة : أي

(الفلكلور) . وقد يبدو أن تمسكهم بهذا الاسم ناتج عن عدم رغبتهم في استخدام المصطلح الأجنبي Folklore المعروف في العالم كله ؛ لذلك عربوه بالأغنية الشعبية . ولكنه في الحقيقة لا يجابه الصواب ؛ حيث إن الترجمة والتعريب الدقيق لمصطلح الفلكلور كما ذكرنا هي التراث الشعبي ، أما الأغنية الشعبية فهي ترجمة للمصطلح الأجنبي Popularmusic ، وشتان بين النوعين كما هو واضح ومفهوم لدى أساتذة الأدب الشعبي والفلكلور . عندنا .

أما من وجهة نظر باحثي الدراسات الموسيقية Ethnomusicology وعلماء النظريات الموسيقية Musicology ، التي تعتمد على التحليل الموسيقي وأساليب البحث التطبيقي والمقارن فإن أسلوب البناء والتركيب اللحني والمقامي والإيقاعي والحركة اللحنية وطابع وأسلوب الأداء لها الدور الأساسي في عملية التصنيف بين تلك الأشكال الغنائية المختلفة ، والتي نوضحها ببساطة من وجهة النظر الموسيقية والتي لا تحتاج إلى خبرة موسيقية معينة لإدراكها . وذلك كالتالي . . .

النوع الأول :

وهي الأغنيات ذات الصيغة والطابع الشعبي ، والتي يؤلفها ويلحنها حديثاً فنانون محترفون ، ومنهم جامعيون أو من خريجي المعاهد الموسيقية . وهذا يبدو واضحاً بالطبع على الأسلوب الفردي والشكل والمستوى الفني

الذي تظهر به الأغنية نصاً ولحناً وأداءً . فإذا ما قدموا لنا أغنية ذات مضمون وطابع يعبر عن صورة شعبية وأحبها الناس وانتشرت بشكل ما ولفترة معينة طالت أو قصرت - نجد في النهاية أنها من النادر أن تظل متداولة دون أن تمحي من الذاكرة الشعبية ، وأن تصمد أمام سيل الإبداع والإنتاج اليومي المتجدد ، والذي يحتويها لكي تُخلى الميدان ولفترة معينة أخرى لأغنية جديدة ... وهكذا .

وقد لاحظ أنه على مدى الثلاثين سنة الماضية لا توجد أغنية واحدة من هذا النوع ظلت صامدة وباقية وحية في الذاكرة الشعبية حتى الآن ، ترتبط بمؤدٍّ أو مبدع معين ؛ لذلك لا يمكن أن نعتبرها من الناحية العلمية أغنية شعبية ، لأنها تفتقر لعناصر الأصالة ، ومن ثم ليست بالطبع أغنية تراثية أو مأثورة شعبية : أي فلكلورا ؛ لأنها بديها حديثة التأليف والتلحين وفردية الطابع ؛ إذن فهي مجرد أغنية دارجة الأسلوب ترتبط شعبيتها بفترة ذبوعها ووجودها فقط ، ولا تلبث أن تختفي تماماً إعلامياً وشعبياً ، ومنها على سبيل المثال أغنيات : (يمه القمر عالباب - تحت لشجر يا وهية - غاب القمر يابن عمي) ؛ لذا فنحن نقترح تصنيفها وتسميتها بالأغنية الدارجة .

النوع الثاني :

وهي الأغنيات التي يؤديها مغنٌ شعبي حقيقي ومحترف نابع من البيئة

الشعبية وما يزال منتسباً لها ، وهو يعتمد على موهبته وإمكاناته الصوتية ، ومقدرته على الارتجال والتلوين ، وحريص على كسب المزيد من الشهرة حتى يصبح دائماً مطلوباً لإحياء الحفلات والسهرات الشعبية من أفراس ومناسبات قومية أو دينية (موالد) طالما حسن من أدائه . وطالما اكتسب من خبرات . وهو يؤدى الأغنية والطقظوقة والموال ، أو القصة والملحمة والسيرة أو القصيدة والتوشيح الدينى . . . إلخ .

وتلك الأنواع ترتبط بأسلوب معين من الأداء يتميز بالأصالة والصدق الشعبى ، وأصالته نابعة من بساطته وتلقائته التى تستهوى الوسط الشعبى . وتعر عنه وعن آماله وأفكاره ، وكل شكل من تلك الأشكال الغنائية له طابعه الخاص وله خصائصه التى لا يمكن الخروج عليها إلا بما تفرضه النصوص المرتجلة ، أو الإلقائية وشكل الأداء وأسلوبه ونوعيته ، وذلك بما تفرضه نوعية المؤدى وشخصيته وإمكاناته وقدراته الإبداعية ، كما فى الموال والسير والقصائد ، التى قد تؤهله لنوع معين من تلك الأنواع عن غيرها ، وأحياناً لجزء معين من النوع الواحد مثل بعض المشايخ والصيئة من شعراء ورواة السيرة والملاحم ، ومنهم من يتخصص ليصبح زناتياً أو هلالياً فقط ٣

وبالطبع فإن هذه الألوان الغنائية الشعبية لا يمكن اعتبارها كلها تراثاً أو ماثورات شعبية موروثة سوى فى الشكل والإطار العام لكل نوع : فالموال مثلاً كقالب شعرى وموسيقى له شكل (Form) خاص ، وله

أسلوب معين في الأداء ، ووظيفة اجتماعية محددة ، ففي هذه الحالة فقط يمكن اعتباره تراثاً حقيقياً وأثراً شعبياً . أما إذا كانت نصوصه مؤلفة خصيصاً للمؤدى ، أو مرتجلة بشكل خاص يعتمد على الموهبة الخاصة والإمكانات الصوتية والإبداعية للمؤدى ، والتي يكون قد اكتسبها أيضاً عن طريق الخبرة الذاتية التي نمت معه منذ أن بدأ يحترف هذا اللون من الغناء ، والتي يحاول دائماً أن يستفيد من خبراته هذه في تحسين مادته وأسلوب أدائه الذى يعود عليه حينئذ بالنفع المادى والشهرة - فإن صفة الاحتراف هذه تنفى عن هذا اللون أهم خاصية يتميز بها الفلكلور بشكل عام ، وهى ألا يكون المبدع والمؤدى اللذان يمثلان طرفاً واحداً في هذه الحالة محترفاً ، ومن هنا فإن الموالم في هذه الحالة يعتبر لوناً غنائياً شعبياً فقط ولا يمكن أن يكون من ثم فلكلورياً .

لهذا فإن الأغنيات التي يقدمها لنا هؤلاء الفنانون الشعبيون ، من أمثال (محمد طه وخضرة وبدارة وأبودراع . . .) والتي يكون فيها اللحن للمؤدى نفسه ، يرتبط به وبأسلوبه وبلونه الخاص وطريقته في الأداء - هذه الأغنيات يمكن أن نطلق عليها ببساطة (أغنية شعبية) لارتباطها كما أسلفنا بمادة شعبية حقيقية ومؤد وأسلوب أداء شعبي فعلاً .

النوع الثالث :

وهو الأغنية المتوارثة التي انتقلت شعبياً عبر الذاكرة الشعبية ، وهى بذلك لا ترتبط بمؤد معين ، بل يؤديها كل الناس كلما دعت الحاجة إلى

ذلك وفي المناسبة الخاصة بها ، وهي بذلك ترتبط بوظيفة اجتماعية محددة كما أنها الأغنية التي ليس لها مؤلف أو ملحن معروف ، بل ساهم الجميع في تأليفها وتلحينها على مدى سنين طويلة ، حتى وصلتنا صورتها الحالية والتي ربما تتعدل أيضاً فيما بعد- وبشكل ما طالما ظلت باقية ومتداولة . وهي الأغنية التي ساهم فيها الجميع أيضاً ، كل بكلمة أو جملة أو جزء من اللحن ، أو بتعديل أو حذف أو إضافة أو ربما باستحداث نص جديد لها يواكب الحاجة أو الحالة أو المناسبة التي يراد التعبير عنها ، وربما أيضاً بلحن جديد تماماً على النص نفسه أو تعديل له ؛ حتى إنه قد يتشعب اللحن الواحد الأصلي إلى عدة ألحان أو أشكال جديدة . وهي بذلك تظل حية متجددة في حدود الإطار العام والطابع الشعبي للمنطقة التي ينتشر بها اللحن . وهذا النوع هو بلا جدال أثر شعبي ينطبق عليه خصائص ما يصطلح عليه «بالأغنية الفلكلورية» .

وبينما يرتبط النوع الأول والثاني - السابق الإشارة إليهما - بوظيفة واحدة محددة وهي الترفيه والتسلية ، وأحياناً بالتوجيه الاجتماعي الذي يوضع في قالب ترفيهي - نجد أن النوع الأخير يرتبط بحياة الإنسان وحاجاته ، ويواكبه من المهد إلى اللحد ، وهو يؤدي في العادة جماعياً وبالصورة التي تفرضها الظروف والمناسبات أو الطقوس المرتبطة بها : فهناك أغاني الميلاد والسبوح والمهد وتهنئ وترقيص الأطفال . ثم أغاني الختان وأغاني وألعاب الأطفال ، ثم أغنيات العمل بأنواعه المختلفة

الجماعية والفردية ، ثم أغاني الشباب والأعياد والحب والزواج والأفراح بمختلف طقوسها وخطواتها ، ثم أغاني الحجاج والعديد . ومن هذه الأنواع ما اندثر فعلاً ، ومنها ما هو الآن في طريقه للاندثار .

وهذه الأغنيات تخرج تلقائياً عند الحاجة لها ، حاملة معها عناصر الصدق والأصالة لأنها تعبر عن مكونات وأحاسيس الإنسان المصرى الأصيل حاملة له الخبرات والقيم الاجتماعية والفنية التى أرسلها له أجداده عبر آلاف ومئات السنين ، والتي يجب عليه أن يوصلها بدوره من ثم إلى الأجيال القادمة .

وهذا النوع هو ما تتسابق دول العالم فى سرعة جمعه وتسجيله وتدوينه وحفظه من الضياع إدراكاً منها بأن متغيرات ومتطلبات الحياة المادية والآلية الحديثة ، والتطور الحضارى المتجدد يومياً بما له من تأثير مباشر وفعال على الإنسان المعاصر وأسلوب حياته وتصرفاته وسلوكه الاجتماعى ، والتي تنطبع مباشرة على الفكر الإنسانى ، وعلى إحباط وقتل منابع الإبداع والخلق فيه ، والتي جعلته يعتمد على الوسائل الآلية والتكنولوجية التى يسهّر له بوسائل الاتصال السريعة وأجهزة الإعلام والنشر الاطلاع على إنتاج وفكر الآخرين دون أن يبتكر أو يبدع . كما كان لوصول الترانزستور والكاسيت إلى كل مكان وإلى كل يد ، وبأرخص التكاليف خطورة شديدة على الأوساط الشعبية التى نعتبرها المنصدر الأساسى والمنبع الهام لدراسات العلوم الإنسانية وخصوصاً

الفلكلور ، وذلك لاعتمادهم الآن كليّة على الراديو والمسجلات في تسليتهم والترفيه عنهم في أثناء العمل أو الراحة ، واستخدامه في أفراحهم وسهراتهم بدلاً من المغنين المحترفين حتى أنصاف المحترفين أو قيامهم أنفسهم بذلك ؛ كما أن خطورة التطور الحضارى الحديث تكمن في أنها بدأت تطغى على القيم الإنسانية والروحية للإنسان المعاصر .

ويجدر بنا الإشارة هنا إلى أن المجتمع الشعبى في المدن كان لمرونته في التفاعل والتأثر بالثقافات الحديثة وقابليته لسرعة التغيير ولقربه والتصاقه بوسائل الثقيف والتنوير - معرضاً بذلك إلى تناسى واندثار جزء هام من تراثه وخصائصه وعاداته وتقاليده بشكل قد يفقده ذلك تماماً يوماً ما ، ويقطع صلته بماضيه وبثقافته وكنوز أجداده الفنية والفكرية والاجتماعية والثقافية . أما المجتمعات الريفية والبدوية فقد ظلت حتى الآن تزدهر فيها إلى حد ما بعض الأنواع من الأغنيات الفلكلورية على حين اندثرت تقريباً بعض الأنواع الأخرى .

لذلك ومع نهاية القرن التاسع عشر - بدأت تصبح الدراسات الفلكلورية موضوعاً هاماً تهتم به دول العالم المختلفة ، وخصوصاً بعد أن تقدمت دراسة العلوم الاجتماعية ، ثم أصبح الإنسان في ذاته موضوع دراسة تهتم بتقاليده وطباعه وفنونه ، إلى جانب ذبوع الروح القومية التي تدعو إلى زيادة ارتباط الأمم بتراثها وطابعها القومى الخاص ؛ كما أصبح التراث الشعبى بمختلف أشكاله وأنواعه القولية والتشكيلية والموسيقية

مصدر الإلهام والوحي الذى ينهل منه أعلام الفكر والفنون المثقفة ، وهذا ما يبدو واضحاً فى أعمال كبار أدباء القرن العشرين فى العالم ؛ ولهذا فإنه على الأجيال الحالية أن تتنبه إلى ذلك ، وأن تكلف الباحثين والمتخصصين الدارسين سرعة تدوين هذا التراث الحضارى العظيم ، وتحليله علمياً ودراسته بحثاً عن عناصر ومقومات الأصالة فيه . . التى يمكن باتباعها ودراستها الخروج منها بالتائج التى يمكن طرحها لمن يريد الاستفادة منها .

أما بالنسبة لنا نحن الموسيقيين فإنه بدراسة هذه النتائج الهامة دراسة جدية وعلمية يمكننا الاستعانة بها عند إنتاج موسيقى أو أغنيات من النوع الأول السابق الإشارة إليه ، ومن ثم يمكن أن نتوصل إلى الأغنية والموسيقى المصرية التى نبحث عنها والتى تحمل فى طياتها عناصر وسمات وطابع وخصائص الأغنية المصرية الصميمة المفقودة ، والتى لا نجد لها لوناً مميزاً أو شكلاً تُعرف به فى الوقت الذى نجحت دول كثيرة فى أن تحدد لها لوناً خاصاً بها يعرفه العالم كله من أول وهلة : كالموسيقى الهندية والصينية واليابانية والروسية واليونانية والأرمنية والإسبانية والأسكتلندية . . إلخ على سبيل المثال لا الحصر . على حين سادت عندنا الآن موضة الاستعانة بالآلة الموسيقية ، وأسلوب الأداء الغربى .

أما النوع (الثانى) وهو الأغنية الشعبية فإن الدول المتقدمة فى مضمار جمع فنونها الفلكلورية والشعبية تهتم به أيضاً وتجمعه على اعتبار أنه يمثل الآن قيماً فنية واجتماعية معاصرة ، تحمل فى طياتها عناصر الأصالة .

الخصائص العامة للفلكلور الغنائي

تميز الأغنية الفلكلورية بخصائص عامة أهمها :

● اعتمادها في انتقالها من شخص لآخر ومن منطقة لأخرى ومن جيل لجيل على الشفاهية والذاكرة دون أى اعتماد على التسجيل أو التدوين الذى ربما يعطيها نصاً ولحناً وشكلاً ثابتاً محدداً ، وهو ما يُنافى أهم خصائصها وهو التغيير والتبديل والتعديل المستمر ، وهذا هو ما يضمن عليها عنصر المرونة والحيوية الذى يساعدها على أن تظل محفورة في ذاكرة الناس ، وهى تواجه بذلك أنماط وتجارب وخبرات الحياة المتجددة .

● وتتصف الأغنية الفلكلورية بالحيوية والشيوع والانتشار ؛ ولذلك فهى لا بد أن تكون جارية الاستعمال ومنتشرة ، وأن تؤدي وظيفتها الاجتماعية التى خلقت من أجلها تماماً ، فإذا كانت ترتبط بطقوس ومناسبات معينة : كان لابد من تسجيلها وتحقيقها عملياً فى أثناء استخدامها ميدانياً ، ومن أفواه قائلها تأكيداً لاستمراريتها وحيويتها وذبوعها بين الطبقات الشعبية . مع الحذر من أن كل أغنية شائعة الاستعمال ودارجة الأسلوب ليست بالضرورة أغنية فلكلورية .

● ويتميز هذا النوع من الأغنيات بأن مادة الأغنية قد ظهرت لأول مرة كلحن أو نص بطريقة عضوية تلقائية ارتجالية من شخص أو عدة أشخاص ، من أجل استخدام معين وفي مناسبة معينة ، ولكنها وجدت استحساناً وقبولاً من الوسط الشعبي ، ومن ثم يكون قد اشترك في عملية إعادة الإبداع والتعديل والتلوين والتكوين ربما عشرات أو مئات من الناس ، حتى إنه لا يمكن بالتحديد ربطها باسم مؤلف أو ملحن أو مؤد معين ، ولكن مبدعها الحقيقي والثابت هو الجماعة الشعبية كلها .

على أنه في بعض الحالات النادرة قد يرتبط لحن ما بمؤلف معين أو ملحن معروف ، ولكن الذوق الشعبي هنا يدخل عليها ما يوافق هواه ويتفق مع ذوقه وحسه من أشكال وأنماط التعديل والتبديل والتلوين المختلفة وذلك عبر فترة زمنية قد تطول أو تقصر على حسب الظروف ؛ حتى تصل إلى شكل محدد ، وتصبح بذلك في حكم الأغنية الشعبية ، ثم تتحول بعد فترة أخرى ومن ثم إلى أغنية فلكلورية : وعلى سبيل المثال فإن بعض ألحان الشيخ سيد درويش التي انتشرت يمكن أن نحكم عليها الآن بعد تحويرها بأنها فلكلورية برغم علمنا باسم مبدعها الأصلي ، ولكن اللحن بصورته الجديدة الشعبية لم يعد مرتبطاً به على الإطلاق .

ونستطيع بفحص التدوين الموسيقي لأغنية (سالما ياسلامة - رحنا وجينا بالسلامة) بشكلها الأصلي كما لحنه سيد درويش ، والشعبي كما هو معروف الآن - أن نبرهن على ذلك .

النحن الأصلي



النحن الفلكلورى



● ويشترط أن تكون الأغنية الفلكلورية دارجة الأسلوب وباللهجة العامية التي يستطيع أن يعبر بها أبناء الشعب عن أنفسهم ببساطة وبتلقائية ، لأن مجرد ظهور بعض أشكال الحرفية والفصاحة اللغوية فيها ربما يؤكد أنها من إنتاج يغلب عليه صفة الفردية والفكر المثقف ، وأنها بذلك قد تخضع لبعض المقاييس الجمالية الأدبية والفنية مما يخرجها إلى مضمار الفنون المثقفة .

● ومن الواجب أن تكون الأغنية الفلكلورية مرتبطة بالناس وذات وظيفة اجتماعية معلومة إلى جانب وظيفتها الأساسية وهي الترفيه والتسلية . ولكن بشرط ألا تكون في الوقت نفسه عملاً ساذجاً ضحلاً بدائياً ، كما أنها لا بد أن تحمل في طياتها طابع الشعب ، معبرة عن عاداته وتقاليده وأخلاقياته ، ويمكن من خلال دراستها التعرف على تجاربه وخبراته ، وإمكانات الانطلاق فيه إلى مستقبل أكثر إشراقاً وازدهاراً .

● وفي الأغنية الفلكلورية تبدو ظاهرة التخصص واضحة جداً ؛

فهي تنقسم على حسب السن والنوع وطبيعة المنطقة المنتشرة بها وإمكاناتها: فأغاني الأطفال لا يؤديها الكبار والبالغون مطلقاً، على حين أن أغاني الأفراح لا يؤديها سوى النساء في الدلتا، وعلى العكس، يؤديها الرجال غالباً في النوبة وعند البدو ومنطقة مطروح، كما أن أغاني المهد وتهنين الأطفال تؤديها منطقياً السيدات فقط. . إلخ.

هذا إلى جانب تميُّز بعض المناطق بنوعيات خاصة مثل أغنيات الصيادين والجمبوتية وعمال البحر في السواحل، وأهازيج وحداء الإبل في الصحارى... إلخ. وفي الوقت نفسه يكون شكل الأداء في الغالب جماعياً ويستطيع الجميع أن يشاركوا فيه صغاراً وكباراً، رجالاً ونساء مهما كانت قدرتهم الموسيقية والصوتية. وفي بعض الحالات الخاصة والنوعيات المحدودة يتحتم أن يكون الأداء فردياً مثل أغاني المهد والعمل الفردي.

● وإذا كان لكل فن من الفنون طرفان أو ثلاثة يشتركون في إتمامه فإن في حقل الموسيقى والأغنية مثلاً المؤلف والملحن والمؤدي ثم المستمع، كما في الأغاني التي يقوم بها المحترفون، ولكن قد تختصر الأطراف الثلاثة إلى اثنين فقط؛ كما في الفنون التشكيلية والتي يصبح فيها المؤلف والمؤدي واحداً. أما في مجال الأغنية الفلكلورية فإن أهم هذه الأطراف - وهو المؤلف - يصبح معدوماً، وفي الوقت نفسه يضيق الارتباط بين باقي الأطراف وهما المؤدى والمستمع ليصبحا أيضاً طرفاً

واحداً أى أن الكل يغنى ويشارك وهم بذلك المبدعون والمؤدون والمستمعون فى الوقت نفسه .

● ويلاحظ أيضاً وجود علاقة وثيقة وأساس بين اللحن وتركيبه ، وبين نوع الأغنية وموضوعها ووظيفتها : فنجد أنه فى أغانى العمل مثلاً يواكب اللحن حركة العمل وإيقاعه المنظم النشط ، وعلى النقيض نجد فى أغانى المهدي اللحن البطيء الهادئ الحانى مواكباً الوظيفة الأساسية لهذا النوع من الأغانى . أما فى أغانى الأفراح فالألحان مشرقة مرحة مملوءة بالحركة والحيوية فى حركة لحنية واسعة وإيقاع نشيط بهيج .

كما تتميز الأغنية الفلكلورية فى كل مكان فى العالم بيناتها اللحنى البسيط التركيب ، والسهل السلس الذى يناسب خبرة المجتمع الشعبى وموهبته وخبراته الموسيقية .

كما نجد أن الأغنية قد تتأثر بالحن أو مواد لحنية وأساليب خارجية وافدة قد تكون نابعة من مجتمع آخر نشأت فيه أصلاً ، ولكنها لا تمر دون أن يحتويها الحس الشعبى فى داخله ويعدّها بما يناسبه ويطوّعها على حسب هواه . وذلك هو سر وجود بعض الألحان المنقولة من مناطق إلى مناطق أخرى بعيدة عنها وربما كانت أجنبية تماماً ، أو متأثرة بها ، حيث يلاحظ وجود بعض الأغنيات غير المصرية الأصل مثل

شامى يالارنج شامى يا مشقق على الصوائى
قُلتلها يا حلوة اورينى على صدرك فرجىنى

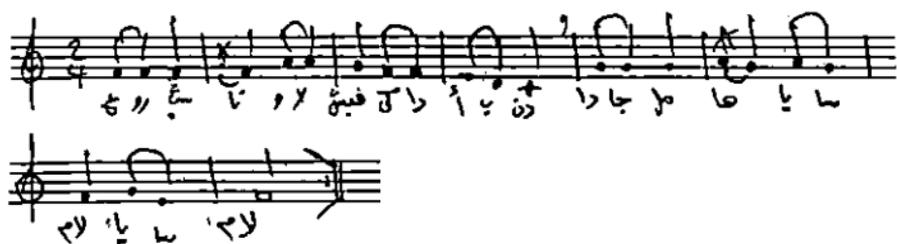
قالت لي روح يا مسكيني دا صدري بلاط حمامي
يا عيني

(الحمراوي - كفر الشيخ)

١٩٧٣

أو أغنيات مصرية مبنية على ألحان ذات أصل أو طابع أجنبي
أو ألحان غير شعبية مثل :

عروستنا ولا فيش كده أبداً دا جمالها ياسلام ياسلام



(دمياط - ١٩٦٧)

ويلاحظ أن اللحن هنا مأخوذ ومحوّر من السلام الملكي القديم
المصري مما قد يؤكد أيضاً استخدامهم للفظ ياسلام ياسلام.

الخصائص والسمات الأساسية

للأغنية الفلكلورية المصرية

تتميز الأغنية الفلكلورية المصرية بالبساطة والسلاسة والسهولة والعدوية التي تنبع من أعماق الإنسان المصرى ، ومن روحه المرحة الصافية التي حباها الله به في أرض مملوءة بالخيرات والنعم ، كل ذلك كان له تأثيره الواضح على ابن مصر منذ آلاف السنين ؛ فهو يغنى في كل مناسبة وفي كل مكان وفي أى وقت وحيداً أو بين الآخرين ، وتلعب الأغنية دوراً هاماً في حياته .

والأغنية المصرية تنبع بساطتها وعدوبتها وسلاستها من أسلوب تركيبها وبنائها ، حيث يدور اللحن فيها حول عدة درجات صوتية أو نغمات أو (نوتات) تبدأ من لحن مبنى على درجة واحدة : أى (مونوكورد) ، وهذا النوع من الألحان يتميز بطابعه وبقيمته الإيقاعية دون اللحنية التي تعتمد بدورها على التقطيع الإيقاعى العروضى للنص ، وهو بذلك يبدو إلقائياً أكثر منه غنائياً (أى منغماً) ، وهو ما اصطلاح عليه بـ Recitative وهذا النوع يكثر في أغاني العمل الجماعية وأغاني وصيحات الأفراح الإلقائية الجماعية التي تؤديها الفتيات مثل :

آه ياواد ياواعى نجت الحلوة وسبت الوحشة تراعى
 حلو ياواد يامسكر ، نخت الحلوة وسبت الشينة تفكر
 ويصاحب هذا النوع دائماً التصفيق بالأيدى بإيقاع منتظم واضح .
 أما فى أغانى العمل فىكون الإيقاع هو حركة العمل نفسها وإيقاعها
 المنتظم .

وهناك أيضاً أغنيات مبنية على نغمتين أو ثلاث ، وهذه تكثر فى
 أغانى المهذ والعديد والحجيج وأهازيج الحداء وأغانى العمل الهادئة الحرة
 وغير المقيدة بحركة أو إيقاع معين مثل أغانى الحصاد والرى بالشادوف
 والطنبور وجمع القطن . . إلخ ، وكذلك فى أغانى الأفراح وأغانى
 وألعاب الأطفال . وتدور فىها الألحان متسلسلة ومتدرجة صعوداً وهبوطاً
 ببساطة وسلاسة لحنية ، حتى يستطيع أن يؤديها الجميع بلا مشقة ،
 وهى بذلك لا تشترط فى المؤدى أن يكون متمتعاً باستعداد موسيقى معين
 أو حساسية فنية خاصة خلافاً للأنواع الأخرى من الأغنيات ذات الطابع
 الفردى .

وتتطور الأغانى لتصبح ألحانها أكثر تقدماً ، حيث تصل فى بنائها
 أحياناً إلى سبع أو ثمانى نغمات أو درجات : أى سلم موسيقى كامل ،
 كما فى أغانى الأفراح ، وهذه تعتبر قمة فى الثراء اللحنى والتطور فى حقل
 الأغنيات الفلكلورية .

والغالبية العظمى من الأغنيات الفلكلورية المصرية بمختلف أنواعها

مبنية على أحد المقامات العربية الرئيسية في الموسيقى العربية وهي : البياتي والراست والعجم والنهاوند ، وذلك في معظم أنحاء مصر ، وخصوصاً في الدلتا والصعيد . أما النوبيون فلهم طابعهم وأسلوبهم الخاص المتميز الذي يعتمد على السلم الخماسي (كما في الألحان السودانية) ، وتبنى أغاني البدو في الصحراء الشرقية والغربية والواحات ومنطقة مطروح على المقامات العربية السابق ذكرها ، إلى جانب بعض خصائص الأغنية والإيقاع النوبى الذى يبدو التأثير الأفريقي عليه واضحاً .

ومن أهم مميزات الأغنية المصرية أنها جماعية الأداء - كما ذكرنا - وذلك في غالبية أشكالها وأنواعها ، وهى بذلك تساهم في تحقيق الترابط والتآلف بين الفرد والجماعة ، كما يبدو واضحاً في أغاني العمل وأغاني الأطفال وأغنيات الأفراح . . إلخ .

وفي هذه الأنواع تنقسم جماعة المؤدين قسمين يتبادلان الأداء حوارياً ، وهو ما يصطلح عليه بالأسلوب . الأنتيفونى Antifonie (أى تضاد الأصوات وتقابلها في أسلوب حوارى) . أو بين مجموعة وصوت منفرد (صوليست) . والمجموعة الرئيسية أو الصوليست : يقوم فى العادة بأداء اللحن الرئيسى للأغنية والكوراليات ، على حين تقوم الجماعة الأخرى ، بترديد اللازمة فقط بعد الصوليست أو تقوم بترديد كامل لكل ما يؤديه .

وقد تتقاسم المجموعتان الأداء بالتساوى بأن تقوم كل مجموعة بأداء

جزء أو كوبيه كامل ، في حين تقوم المجموعة الأخرى - في هذه الأثناء - بالتصفيق فقط ، ثم يتبادلان الأدوار بأن تصفق المجموعة الأولى وتغني الأخرى (كوبيه) آخر وهكذا .

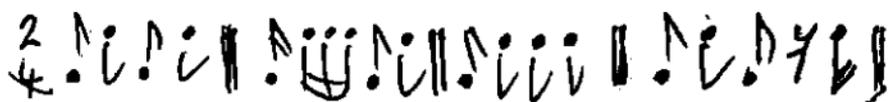
وقد تكون للمجموعة الأخرى (الكورس) دور ثانوى بحت لا يخرج عن مجرد إلقاء بعض الكلمات أو الصيحات مثل (الله الله - نايلون - ياسلام - ياوله - صلى . . . إلخ) التى تكمل المعنى أو الجملة الموسيقية أو القافية ، وقد يكون ذلك أيضاً فى صورة مقاطع قصيرة ، وفى حالات أخرى يكون دورها هو المصاحبة الإيقاعية بالتصفيق مع أداء بعض المقاطع الصغيرة مثل آه - ياه - يوه - هوه - آى آى - هيه . . . إلخ) . التى قد لا تشكل من الناحية اللغوية مفهوماً أو معنى له أهميته بالنسبة للنص ، وذلك بشكل إلقائى وفى مكان محدد هو فى الغالب نهاية الجملة الموسيقية ، أو للربط بين عبارتين صغيرتين ملء فراغ زمنى قصير بينهما . ولهذا فالحاسة الشعبية الموسيقية أوجدت تلك الصيحات البسيطة لكى تكمل بذلك البناء الموسيقى للأغنية بشكل طبيعى وتلقائى ، وبالصورة الصحيحة على حسب قواعد اللغة الموسيقية ونظرياتها حتى لا يحدث كسر فى التدفق اللحنى والإيقاعى للأغنية .

أما الأغنيات الفردية التى نقابلها أحياناً فى بعض أغانى العمل ذات الطابع الفردى ، وخصوصاً أغانى العمل على الشادوف أو الطنبور أو النورج ، التى يقوم بها فرد واحد ، أو أغانى الحرفيين الفردية التى

يكون الهدف منها هو تسلية المؤدى لنفسه في أثناء العمل ، ليعبد عنه الشعور بالتعب والإرهاق فهي على العكس تماماً تكون غالباً غير مصاحبة إيقاعياً على الإطلاق ، حيث لا ترتبط بميزان أو تشكيل إيقاعى متكرر (ضرب) كما هو معروف ، ولكن يكون الأداء حراً ارتجالياً لا يرتبط بحركة العمل أو أية حركة ثابتة ، حيث يطول المؤدى أو يقصر في الجملة الموسيقية كما يريد ، ويحدد الفراغات أو السكتات بين العبارات أو الجمل اللحنية كما يشاء على حسب مقدرته الصوتية واستعداده الجسماني . وقد يساعده النص على ذلك ؛ ولهذا يلاحظ أن القافية المفتوحة الممدودة هي المفضلة في الغالبية العظمى إن لم تكن كل النصوص ؛ ويكون البناء اللحني فيه معتمداً على موهبة المؤدى وإمكاناته الموسيقية .

أما عن الإيقاع والمصاحبة الإيقاعية للأغنية المصرية الفلكلورية فإنه بحكم موقع مصر الجغرافي في القارة الأفريقية وبحكم قربها من قلب القارة السوداء ، (الإيقاعات الأفريقية المتدفقة والواضحة والمعقدة أحياناً ، يشكل منها الإنسان الأفريقي ألحاناً ، حيث تنوع الآلات الإيقاعية وأشكالها وأحجامها وطبيعتها الصوتية) - يؤدي الإيقاع المصاحب في مصر دوراً هاماً ، ويتم أداءه بصور كثيرة . ويستطيع المصري أو المصرية أن يستعمل أية أداة متاحة مهما كانت ، لتساعدهم على ضبط إيقاع الأغنية الذي يكون عاملاً أساسياً في تشكيلها ، وذلك مثل أى نوع من الطبول أو الدفوف .

وإذا تعذر ذلك فيكون بالدق على علبة أو إناء أو صفيحة فارغة ،
أو حلة أو طشت مقلوب أو كرسي أو ترابيزة . وإذا تعذر ذلك يكون
بالضرب على الفخزين أو بدق الأرجل بالأرض، ويكون كل ذلك مصاحباً
بالتصفيق الذي يصبح كافياً إذا تعذرت كل السبل السابقة أو إذا كانت
الأغنية تؤدي وهم سائرون خلف موكب (العريس) أو العروس مثلاً .
ويتشكل الإيقاع ويتلون من (الدم والتك) أي من الضغط الثقيل
والخفيف (أي من الدق في وسط الطبلية أو الدف أو الدق قرب
حافتها) . ويستطيع من يتمتع بحاسة إيقاعية متوسطة أن يشكل ويتلون ،
وأن يقوم بعمل تنوعات كثيرة على إيقاع أصلي واحد .
والإيقاعات في مصر كلها تقريباً ثنائية ، إلا في النوبة وعند البدو ،
فقد نلتقي قليلاً جداً والإيقاعات الثلاثية . وهذه الإيقاعات الثنائية
المستخدمة في مصر لا تخرج عما يسمى بضرب الببب أو الدويك الذي
يطلق عليه شعبياً (الوحدة ونصف) ، أو ما يسمى بضرب الملفوف
وتنوعاته وهذه الإيقاعات لا تخرج عن الأشكال الأصلية التالية :
واللحن الواحد يقوم على إيقاع واحد من بداية القطعة إلى نهايتها ،
ونادراً ما نجد فيه بعض التنوعات التي لا تتعدى بعض التغييرات
الطفيفة في السرعة أو في الأداء قوة أضعفاً . أما في منطقة النوبة وأسوان



فيغلب عليها الطابع الأفريقي ، والذي تميزها تماماً الاستخدامات الإيقاعية عن بقية مناطق مصر ، حيث الإيقاعات المعقدة والمركبة ، إلى جانب وجود (البوليرتم) أى تعدد التشكيلات الإيقاعية المسموعة في وقت واحد . أما عند البدو فهو في درجة متوسطة بين الإيقاع الواضح السلس السهل في الدلتا والصعيد ، والإيقاع المعقد في النوبة . . .

وتتميز الأغنية الفلكلورية المصرية أيضاً بطابعها اللحني المفرد : أى ذات خط لحني واحد يعتمد على الميلودية بعيداً عن أى نوع من أنواع تعدد التصويت المعروفة التي تستخدم الأساليب الهارمونية أو الكنتراپونتنية التي ينتج عنها الاستماع إلى عدة أسطر لحنية مختلفة في وقت واحد ، ولكننا في الوقت نفسه قد نجد أنواعاً بدائية من تعدد التصويت الطبيعي والتلقائي الذي ينتج من اختلاف نوع وعمر المؤدين واختلاف طبقاتهم الصوتية ، وأنواع أخرى من تعدد التصويت بدائية تحدث دون قصد في أثناء الأداء الجماعي وتسمى بالهارمونات العارضة .

وهناك خاصية هامة تنفرد بها مصر بين دول العالم : تتلخص في أنه ليست لدينا أية مصاحبة موسيقية آلية للأغاني الفلكلورية ، إنما هو مجرد أداء وإنتاج غنائي فقط يعتمد على الصوت البشري وحده ، حيث لا نجد سوى المصاحبة الإيقاعية فقط كما ذكرنا . أما الدفوف والطبول والناي والربابة والكمانجة والعود والأرغول والسلامية والمزمار والخمسية والسلمسية . . إلخ فكلها آلات شعبية تصاحب المغنين المنفردين

والمحترفين فقط ، و فرق الطبل البلدى والمزمار والشعراء والمداحين والعوالم والغوازى . . الخ . الذين لا نعتبرهم من الوجهة العلمية فلكلوريين ومن ثم ليس فى مصر إنتاج موسيقى آل فلكلورى على الإطلاق يعتمد على المواطن العادى الشعبى لا على المحترفين أو أنصاف المحترفين أو الذين تعلموا العزف بأسلوب مدرسى أو أكاديمى بقصد الاحتراف لا الهواية . ومع الأسف كانت حتى الخمسينيات من هذا القرن بقايا من هذا النوع من الأداء الموسيقى الآلى الذى كان يتمثل فى العزف على الناي والسلامية على وجه الخصوص بين الفلاحين والرعاة فى الدلتا والصعيد تذكراً لهم أحاديث الذكريات لمن عاصروا وأدركوا هذه الفترة من الخصب الفنى المصرى الأصيل ، وذلك حينما يتحدثون عن الراعى أو الفلاح الذى يجلس تحت ظلال النخيل أو تحت الجميزة الشهيرة وحوله أغنامه ، أو يجوار الساقية وهو يعزف على نايه الذى يصنعه بنفسه من عود (غاب) ، وذلك قبل ظهور الترانزستور الذى ساعد على قتل تلك التزعات الفنية وخصوصاً بعد أن صار فى كل مكان وفى متناول كل يد ، وانتقل استعمال هاتين الآلتين إلى طبقة المحترفين فقط من المداحين والشعراء و فرق العوالم والغوازى ، وأصبح من النادر جداً أن نقابل فلاحاً أو مواطناً عادياً يصنع لنفسه نايًا ويعزف عليه من واقع الهواية والاستمتاع الشخصى .

الإنسان المصرى والأغنية

يولد الإنسان المصرى مشغولاً بالموسيقى والأغنية ذواقاً ومبدعاً ، يطرب لها وهى تواكبه منذ ساعة مولده حتى مماته مستمتعاً وممارساً فى مختلف المناسبات الاجتماعية والتومية والدينية والتي تكون الأغنية والموسيقى فيها من أهم مظاهر تلك الاحفالات ، أو عندما تدعو الحاجة النفسية للإنسان للتعبير عن ذاته وكيدنه بالغناء منفرداً أو مع الجماعة وبشكل تلقائى فى أى وقت وأى مكان بلا تجهيز أو استعداد مسبق

أما هذا التنوع والثراء فى حقل الأغنية والموسيقى فقد حتمته طبيعة ظروفنا التاريخية والجغرافية ، وكذلك التأثيرات والمتغيرات التى مرت بها مصر عبر تاريخها الطويل .

إن الآلات الموسيقية المصرية القديمة التى عثر عليها فى مقابر المصريين القدماء ، والتي نجدها الآن فى معظم متاحف العالم الكبرى - أمكن العزف عليها فعلاً ، وكذا الرسوم التى فى المعابد والمقابر - كل ذلك يؤكد أنه كان على أرض مصر منذ أكثر من ٤٠٠٠ عام ق . م حضارة موسيقية متقدمة ناضجة تجاوزت بكثير مراحل البدائية ؛ كما كانت بمصر معاهد لتعليم الغناء والعزف وارقص داخل المعابد ، ولكل معبد فرقته الخاصة من الموسيقيين والمغنيين والراقصين ، وفى بداية عصر الدولة

الوسطى التي بدأت من الأسرة الثانية عشرة واكمل السلم الخماسى الذى تميزت به الموسيقى الفرعونية بشكل عام (السلم الخماسى هو السلم الذى تبنى عليه موسيقى مناطق كثيرة من العالم ويتكون من خمس درجات موسيقية مثل الموسيقى السودانية والأفريقية عموماً والأسكتلندية والصينية واليابانية ومنطقة جنوب شرق آسيا وبعض مناطق أمريكا اللاتينية). كما تطور فى صناعة وتركيب الآلات الموسيقية الوترية ، وزاد عدد أوتارها وأنواعها وأحجامها مثل (الجنك) - الهارب المصرى القديم - وكذلك الكنارة (أو القيثارة وهى تشبه الطنبورة أو السمسمة تماماً فى الشكل والتصميم) ؛ كما زادت أيضاً ثقوب آلات الناي والصفافير دليلاً على تطورها واتساع مساحتها الصوتية .

وقبل نهاية الأسر المصرية القديمة بدأت فترة التفاعل بين مصر والدول المجاورة التى احتلتها لفرات متقطعة مثل الآشوريين والفرس ، حتى احتلها الإسكندر الأكبر عام ٣٣٢ ق . م . وهنا أعطت الحضارة المصرية القديمة الحضارة اليونانية الكثير كما أخذت منها ، وبدأت اللغة اليونانية تُصبح هى اللغة الرسمية فى مصر ، كما استخدمت المقامات الموسيقية اليونانية القديمة إلى جانب السلم الخماسى المصرى .

أما فى أعماق مصر فقد ظلت اللغة الفرعونية الهيروغليفية والموسيقى الخماسية هى السائدة فى الأوساط الشعبية ، وحين ، أفلت شمس الإمبراطورية اليونانية بعد أن هزمتها الجيوش الرومانية أصبحت مصر فى

عام ٣١ ق . م . ولاية رومانية . وظلت كذلك قرابة سبعة قرون انتشرت في خلالها المسيحية في مصر ، وأزيلت بعض المعابد الفرعونية كمعبدى إيزيس وأوزوريس ، كما حُرِّم أداء الصلوات بها ، ولكن لم تجد الألحان والتراتيل والأناشيد المسيحية الجديدة في أول الأمر صدى لدى نفوس المصريين مما اضطرهم إلى السماح بالاحتفاظ بالألحان الفرعونية القديمة ، ولكن بعد أن وضعوا عليها نصوصاً جديدة باللغة القبطية ، وبذلك بدأت تنتشر في مصر إلى جانب اللغة الفرعونية .

ولعل هذا هو أساس النظرية التي تقول : إن الموسيقى والألحان القبطية تحمل في طياتها البقية الباقية من التراث الغنائى الفرعونى وبقياء اللغة الهيروغلوفية : . كما كان التداخل بين السلم الخماسى الفرعونى والسلم السباعى القبطى الذى بدأت تطهر فيه ملامح المسافات المتوسطة أيضاً (أى أرباع الأنوان) التى ليست فى السلم الخماسى . وهذا ما يؤكد وجود هذه المسافات فى التراتيل القبطية الموروثة والتى حتى الآن فى الكنائس القبطية ، وقد أوضحت ذلك الدراسات التى قام بها باحثو الموسيقى القبطية مؤخراً .

وفى عام ٦٤١ م - جاء العرب إلى مصر وانتشر فيها الإسلام ، وبدأت اللغة العربية تنتشر فى خط موازٍ لاختفاء اللغة القبطية . وقد حمل العرب معهم طابعهم وتراثهم الذى سرعان ما انتشر أيضاً ، وبذلك كان لهم تأثيرهم الكبير فى العلاقة بين الموسيقى والغناء العربى

والمصرى القبطى الفرعونى .

وتعاقبت على مصر عصور الخلافة الأموية والعباسية والفاطمية ،
وفيهما صارت مصر ملتقى الحضارتين الشرقية والأندلسية ، وفى دولة المعز
لدين الله تألفت فى هذه الفترة موسيقية الشعب المصرى وميله الفطرى
للفنون ومازال إلى الآن كثير من عاداتنا وتقاليدنا وأغانينا الشعبية
والفلكلورية فى مختلف المناسبات والأعياد والأفراح والخاصة ترجع إلى
ذلك العصر برغم تعاقب مئات السنين .

أما فى عصر الدولة الأيوبية فقد بدأت الفنون تضمحل لانشغالهم فى
الحروب الصليبية . وفى منتصف القرن الثالث عشر وقعت مصر تحت
حكم المماليك . وفى عام ١٥١٧ م وقعت تحت حكم الأتراك ، وبدأ
بذلك العصر الأسود فى تاريخ مصر الفنى والثقافى ! .

ونتيجة لذلك نشأ فى مصر نوعان من الموسيقى :

موسيقى القصور ولها الطبقة الممتازة من المغنين والعازفين المحترفين
الذين يخدمون فقط طبقة الحكام والولاة والأكابر بعيدين كل البعد عن
الشعب الذى بدأ يغنى لنفسه محافظاً على تراثه الحقيقى وتقاليده وعاداته
مبدعاً وخلقاً فى إطارها ، وذلك حتى دخول الحملة الفرنسية مصر عام
١٧٩٨ م . وفيها حدث العكس حيث استقدم نابليون معه العلماء
الفرنسيين لينهلوا من الحضارة المصرية بكل فروعها وعلومها وفنونها ومنها
الموسيقى كما توضحه الدراسة الهامة التى وضعها (فيلوتو) عن الموسيقى

الشعبية المصرية والتي تعد الآن من أهم المراجع التي يعتمد عليها الباحثون

وفي عام ١٨١١ م . جاء محمد علي إلى الحكم ، وأدخل الموسيقى الأوربية إلى مصر ، واستقدم مدربين أجانب لتدريس الموسيقى لفرق الجيش وافتتح لذلك مدارس متخصصة ، وقد تبعه أولاده في الخط نفسه ، حتى كان افتتاح دار الأوبرا المصرية عام ١٨٦٩ . من أهم المظاهر التي فتحت مجالاً لظهور الموسيقى الأوربية الكلاسيكية في مصر . أما الشعب فقد كان في وادٍ آخر ، له موسيقاه وأغانيه التي تناسبه وتعبر عن واقعه وحياته ، وأصبحت مصر واقعة تحت الاحتلال البريطاني سنة ١٨٨٢ ، وقد كان مما أحدثه ذلك إيقاظ للروح الوطنية المصرية التي ظهرت واضحة في ثورة ١٩١٩ م ، وصاحبها ثورة أخرى في حقل الأغنية المصرية ، فقد ظهرت لأول مرة الأغنية الوطنية الجماعية التي ردها الشعب في أثناء المظاهرات ، إلى جانب ظهور الأغنية المصرية الشعبية الصميمة ، وصار الغناء بأنواعه يعتمد على منابع من الأغنيات الشعبية والفلكلورية التي أبدعها أبناء الشعب نفسه ، وقد تجلى ذلك واضحاً في ألحان سيد درويش ومن بعده . ومع بداية ثورة ١٩٥٢ م . تأكدت وتجلت تلك الروح القومية وبدأ الاهتمام واضحاً بالموسيقى والأغنية الشعبية من خلال أجهزة الإعلام ، وإنشاء فرق الفنون الشعبية وتأسيس المركز القومي للفنون الشعبية في أوائل الستينات .

كل هذا التاريخ الطويل الحافل عبر آلاف السنين والمملوء بالمتغيرات والتقلبات والتأثيرات المتبادلة في حياة الإنسان المصرى - قد أثر وانطبع بلا شك على النشاط والإبداع الموسيقى الغنائى ، وساهم في تشكيل هذا التنوع والغزارة في تراثنا الفنى الذى مازال باقياً وحيّاً حتى الآن برغم كل تلك الظروف ، ومازال يحمل عناصره الأصيلة والتميزة بين دول المنطقة .

أما من الناحية الجغرافية فإنه بحكم موقع مصر الجغرافى والحضارى الهام فى شمال شرق أفريقيا ، وعُهد نقطة التقائها بآسيا ، وكونها إحدى دول البحر المتوسط ومجاورتها للشمال الأفريقى غرباً وقربها من عمق أفريقيا جنوباً والبحر الأحمر شرقاً - تعد هى بذلك مركزاً للعالم وهمزة الوصل بين مختلف الحضارات الأفريقية والآسيوية والأوربية . كل تلك الظروف الطبيعية أوجدت بمصر سبعة أقسام ومناطق فلكلورية نوعية ، لكل قسم أو منطقة خصائصها وطابعها ، ولها السمات الخاصة التى تتميز بها ؛ فهى تتنوع من حيث البناء الموسيقى والأدبى ، ومن حيث اللهجة والأسلوب ، كما تختلف من حيث المضمون الاجتماعى والنفسى طبقاً لعادات وتقاليد كل منطقة بما تحتمه ظروفها الطبيعية والبيئية . ولكن هذا لا يمنع وجود بعض الخصائص العامة المشتركة ، حيث نجد بعض النصوص والألحان المتشابهة والمنتشرة بين جميع تلك المناطق الفلكلورية السبع والتى تحمل فيما بينها الطابع المميز للأغنية المصرية بشكل عام .

أولاً - السواحل الشمالية :

وهي المنطقة التي تمتد من الإسكندرية إلى (أبو قير) ورشيد ودمياط ورأس البر ، وهذا الامتداد الكبير يحمل خصائص موحدة بشكل واضح ؛ لأن نسبة كبيرة من السكان في هذه المناطق يعملون بالصيد ، وكعمال في البحر والموانئ ، وهم أكثر السكان اختلاطاً بالأجانب حيث تتركز هنا أكبر نسبة من الجاليات الأجنبية وخصوصاً اليونانية والإيطالية والأرمنية ؛ كما أنها بحكم موقعها على الساحل الشمالى كانت أكثر المناطق التي جابهت الغزوات الأجنبية الصليبية والفرنسية والإنجليزية .

ومن الطبيعي أنها تركت تأثيرات واضحة على السكان وعلى لهجتهم ، وهذا يبدو بوضوح في استخدامهم تعبيرات أوروبية كاملة أو محرفة ؛ كما يغلب على نطقهم الأسلوب المقطعى الأوربي Sillabic والذي يتميز بتجزئ الكلمة إلى مقاطع صغيرة بضغط واضحة . وهذا الأسلوب ليس في اللغة العربية ولكنه من أسس النطق في اللغات اللاتينية الأصل وكذلك استخدامهم لصيغة الجمع بكثرة حتى بالنسبة للشخص المفرد ودون استخدام صيغة المثني .

أما الأغنيات فهي أكثر تطوراً وحيوية وأكثر اتساعاً وثراءً في الحركة اللحنية من بقية مناطق مصر بحكم أنهم كانوا أول وأكثر من استمع وتمرس بسماع الموسيقى الأوربية بحكم العمل والاختلاط بالجاليات الأجنبية .

أما النص واللحن فلكل منهما أهميته المستقلة ، فيتعذر أن نجد نصاً يُعنى بأكثر من لحن ، أو لحناً يستخدم أكثر من نص واحد ، كما هو منتشر بوضوح في الدلتا مثلاً . ويغلب على الأداء صفة الجماعية تحت قيادة وصوليست منفرد تنظيماً لعملية الأداء أو لحركة العمل في أثناء التجديف أو جر الشباك أو للتسلية في أثناء الراحة . . . إلخ .

وأكثر الآلات الموسيقية الشعبية استخداماً هي الطبول الصغيرة (الدربكة - الحق) ، وبعض أنواع الإيقاعات المبتكرة بأبسط صورها مثل الدق بملعقتين أو بين كوبين مع المصاحبة بالتصفيق الشديد والدق على المقاعد والترابيزات ، وذلك في جلسات السمر والسهرات الجماعية ، هذا في الاستخدام الفلكلورى .

أما في الاستخدام الشعبي فتنفرد هذه المنطقة أيضاً عن بقية أنحاء مصر باستخدام آلة الأكورديون والمهارمونيوم الأوربي الأصل بكثرة ، مع ملاحظة أنه لا يمكن عليها عزف المقامات العربية من ذوات أرباع الأتوان ، ومن ثم نجد أنه نظراً لتلك الظروف فإن استخدام المقامات الغربية المنتشرة في بقية أنحاء مصر كاليباني أو الراست مثلاً يبدو نادراً ، على حين يغلب وجود مقامى العجم والنهاوند (أى الماجير والميثير الغربى) ، ولكن بالطابع واستخدام الشرقى المميز (أمكن أخيراً عمل بعض التعديلات في الأكورديون ليتمكنه عند الضغط على أحد المفاتيح تعديل بعض الدرجات لتخدم المقامات العربية ذات أرباع الأتوان) .

ثانياً - المناطق الشعبية في المدن :

تركز النسبة الكبرى من سكان مصر في المدن مثل القاهرة وعواصم المحافظات والمدن الكبرى حيث تتركز أيضاً مراكز الثقافة والإعلام ، من مدارس ومعاهد وجامعات ومسارح ومتاحف ودور السينما الخ . . ومن الطبيعي أن لها تأثيرها المباشر على السكان إلى جانب تأثيرات الحياة الحديثة والمادية على المواطن البسيط ولكن برغم ذلك فما زالت الأحياء الشعبية بتلك المدن تحتفظ إلى حد ما ببعض قيمها من خلال الحفاظ على بعض عاداتها وتقاليدها الشعبية :

ففي حقل الأغنية والموسيقى مازالت الأفراح الشعبية بتقاليدها وطقوسها وأغانيها تُزاول إلى حد ما بشكلها القديم ، ولكنها تعتمد بشكل أكثر مما سبق على طبقة الفنانين الشعبيين المحترفين من العوالم والمزيكا الأفريقية ، وفي مدن الدلتا والصعيد على الطبل البلدى وشاعر الرابطة ، كما انتشرت عادة استئجار بلسجلات لتقوم بهذه المهمة . وبذلك أصبح المواطن الشعبي مع الأسف مرة أخرى مجرد مستمع ، وانعدم دوره كمبدع ومؤد ومشارك في عملية الاحتفال بالمناسبات الشعبية .

والأغنية الفلكلورية الخاصة بالأوساط الشعبية بالمدن تتميز عن الأغنية الماثلة في بقية أنحاء مصر بالحركة اللحنية الجريئة في حيز أوسع ، يصاحبها إيقاع أكثر وضوحاً وسرعة وحيوية متأثرة بذلك وبشكل واضح

بالإنتاج الفنى الموسيقى المتطور بالمدينة حيث الوسائل المؤثرة حضارياً ، ولكن بعد تعديله إلى حد ما بما يناسب أذواقهم ويتفق مع الحس الشعبى ، كما تنتشر الأنواع الأخرى من الإنتاج الغنائى والموسيقى مثل الموال ، والسير والقصص الشعبية والطقاطيق والأغاني . . . إلخ .

أما فى المناسبات الدينية والموالد فنجد أيضاً القصيدة والموشح والأغنية الدينية التى قد تعتمد أحياناً على ألحانٍ معروفة ومشهورة . ويكثر استخدام مقامات النهاوند والراست والبياتى عن المقامات الأخرى فى هذه المنطقة ، أما بالنسبة للآلات الموسيقية المصاحبة فنجد أنه كالعادة فى الأغنية الفلكلورية المصرية تكون المصاحبة أغلبها إيقاعية فقط كما سبق أن أوضحنا ، على حين أن الأغنية الشعبية تعتمد على الآلات العربية الأصيلة مثل العود والرباب والتاى والسلامية ، إلى جانب آلات أخرى دخلت فى الاستخدام الشعبى مثل الكمان (أو الكمنجة) والكلازىنيت والأكورديون ، إلى جانب الآلات الإيقاعية مثل الدربكة والحق والبنجز ، والرق والدفوف والصاجات . ولكن الملاحظ أن أسلوب الأداء يغلب عليه صفة الفردية ، على حين يقل كثيراً الأداء الجماعى .

ثالثاً - مناطق أريافكم الدلتا :

تركز فى الدلتا أكبر نسبة من السكان فى مصر من حيث التقسيم

الجغرافى ، وتتركز أيضاً الثروة الصناعية والزراعية.

وبالنسبة لباحثى الدراسات الإنسانية والفلكلورية - تشكل هذه المنطقة أهمية ضخمة ، لأن سكانها من الفلاحين مازالوا حتى الآن يشكلون الدرع الواقية للتراث الفكرى والفنى المصرى ، لأنهم أيضاً كانوا أكثر سكان مصر عرضة للتأثيرات الغربية والأجنبية على فترات التاريخ المختلفة ، حيث تركزت فيها قوات الغزوات الأجنبية . ولكن برغم ذلك : ما زال الفلاح المصرى يطرب وهو يستمع أو يؤدي الأغنيات التى ردها وطرب لها من قبله آباؤه وأجداده ؛ كما يسعده ويشجيه صوت الناي والمزمار البلدى والربابة . وتشده المواويل والقصص والسير الشعبية . وما زالت الفلاحة تغنى لأطفالها ولنفسها فى مختلف المناسبات أفراحاً وأتراحاً الأغاني الموروثة نفسها من مئات السنين .

والألحان والأغنيات مشرقة دافئة مملوءة بمعانى الرضا والإيمان والأمل فى حياة سعيدة آمنة ، وربما يكون للطقس المعتدل فى الدلتا أثر فى ذلك الطابع الهادئ للأغاني بعيداً عن الإيقاعات السريعة الصاخبة ، التى تعتمد على الميلودية الرقيقة البسيطة السهلة السلسلة بعيدة عن القفزات اللحنية الواسعة أو المفاجئة ، لذلك تعد منطقة الدلتا من ناحية الكم الغنائى من أثرى مناطق مصر الفلكلورية .

والآلات الموسيقية المستخدمة فلكلورياً فى الدلتا - تقتصر فى حالات نادرة جداً على بعض نماذج العزف على الناي ، على حين توجد فقط

المصاحبة الإيقاعية بالطبول أو أية أداة يمكن أن تصدر صوتاً إيقاعياً .
 أما الإيقاعات نفسها فكها ثنائية ، ولا تخرج عن إيقاع الحب والدويك
 والمعروف شعبياً (بالوحدة ونصف) . أما الآلات الموسيقية الشعبية
 السابق ذكرها فيقتصر استخدامها على فرق المحترفين من العوالم والمداحين .

ولهجة أهالى هذه المنطقة من الفلاحين تتميز بالنطق الواضح السليم
 للحروف بلا قطع أو إدغام للحروف . كما تتميز نصوص الأغاني بكثرة
 وجود القافية المفتوحة والممدودة التي تعطى الإثراء اللحنى مجالاً وفرصة
 لإمكان التلوين والارتجال وإظهار موهبة المؤدى .

والنصوص تبدو سهلة بسيطة من ناحية التركيب اللغوى ولكنها برغم
 ذلك تحمل فى طياتها قيماً وثقافات وخبرات معينة ذات مضمون
 اجتماعى وتاريخى ، مستحداً لتوصيلها ببساطة الذكاء الشعبى والوسائل
 اللغوية مثل الجناس والطباق وأساليب البلاغة المختلفة . وبما أن الكلمة
 لها أهميتها بالنسبة للفلاح المصرى فإننا نجد فى هذه المنطقة نصوصاً تعنى
 بعدة ألحان مختلفة تماماً أو قريبة الشبه ، أو تنبع من أصل لحنى واحد ،
 كما قد نجد عدة ألحان أو تيمات أساسية - يعنى عليها أيضاً عددٌ من
 النصوص المختلفة التى تتباين من منطقة لأخرى ، ومن محافظة إلى
 محافظة ، ومن جزء لجزء فى داخل المحافظة نفسها .

رابعاً - منطقة الصعيد :

وهي المنطقة التي ما بين الجيزة وأسوان ، وتمثل الثروة الزراعية والصناعية بها بنسبة أقل مما في الدلتا ، ولذلك فنسبة معتدلة من السكان تعمل بالزراعة والباقون يعملون بالصناعة التي نمت في السنوات الأخيرة ، أو بالآثار على حين تهاجر منهم نسبة ليست بالقليلة للعمل في المدن وفي الدلتا كعمال للبناء .

وسكان الصعيد يتميزون بطابعهم الانفعالي وحساسيتهم ، ولعل طبيعة الجو الحار نسبياً عن الدلتا ، وكذلك ظروف حياتهم الصعبة وخصوصاً بين المغتربين منهم جرياً وراء لقمة العيش - قد أورثتهم هذه الروح ؛ ولهذا فإننا نجد أن غالبية القصص الشعبية والسير والملاحم التي تتغنى بمشاعر الحب والحنين والبطولة والشهامة تقع حوادثها في هذه المنطقة مثل (حسن ونعيمة - شفيقة وموتولى إلخ) ومن ثم فإن أشهر الفنانين الشعبيين من شعراء السيرة والقصص وفناني الموال والمداحين قد ولدوا هنا .

ومن الملاحظ أن طابعهم هذا ينصب أيضاً على لهجتهم التي تتميز بوجود ضغوط واضحة على نهاية الكلمات ؛ والتي تُقَطَّع فيها أو تُقَصَّر الحروف الممدودة ؛ ومن ثم فهذا الأسلوب له تأثيره المباشر على الكلمة وطريقة إلقائها وأدائها غنائياً .

والألحان الصعيدية تتميز بالدفء والوضوح في خط الحنى سلس

ذى قيمة ميلودية كبيرة ، والانتقالات اللحنية والمقامية فيها أكثر جرأة من الألحان فى الدلتا ؛ كما يغلب استخدام مقامى الراسى والبياقى ، ويندر استخدام مقامى العجم والنهائند (الملاجير والمينير الغربى) . أما الإيقاع المصاحب فله أهمية كبيرة ، حيث يستخدمون الدفوف بأشكالها المختلفة وبكثرة واضحة ، والإيقاعات هنا أيضاً ثنائية ولكن الضغوط فيها أشد وضوحاً وقوة وحرارة وسرعة منها فى الدلتا . وقد نقابل أحياناً إيقاعات ثلاثية فى الأداء الآلى للمحترفين فقط .

وقد بدأت بعض أنواع الأغانى الفلكلورية فى الاختفاء والاندثار فى الدلتا مثل أغانى العديد ، وبعض أنواع أغانى العمل والسبوع والختان ، ولكنها مازالت فى الصعيد وتزدى دورها ووظيفتها الاجتماعية ؛ كما أن للرجال دوراً واضحاً فى أداء أغنيات الأفراح فى الصعيد ، على عكس ما هو فى الدلتا إذ ليس لهم سوى صيحة واحدة فقط ، وللنساء الدور الهام والأساس فى هذا اللون .

أما أغانى عمال البناء من الصعايدة وخصوصاً من يعملون فى الدلتا والقاهرة فإنها تشكل لوناً فريداً من ناحية أسلوب الأداء الجماعى والنموذج الرائع لأغنية العمل الجماعية ، وكذلك أغنيات السهرات إلى جانب المواويل التى يحفظونها أو يرتجلونها ، والتى تتحدث عن الغربة والحنين والصبر والأمل والإيمان والشوق إلى الحبيبة أو الزوجة التى طال البعد عنها ؛ ولهذا فإن طابع الأداء الفردى يبدو فى الصعيد أكثر منه فى مناطق

مصر الأخرى . ولأنهم يعشقون الكلمة والزجل والشعر الشعبي فإن معظم الألقاب هنا عبارة عن جملة لحنية رشيقة بسيطة التركيب قوية التعبير ، تتكرر عدة مرات على حسب طول النص الشعري المملوء بالطباق والجناس والمترادفات وأساليب البلاغة اللغوية الشعبية ، والذي قد يطول أحياناً بشكل غير عادي حاملاً في طياته معاني الشهامة والرجولة والإيثار والوفاء ، وفي الوقت نفسه قد نجد ألقاباً مشهورة في هذه المنطقة ولها عدة نصوص مختلفة متباينة الموضوعات .

خامساً - منطقة النوبة :

النوبيون هم سكان المنطقة التي تبدأ من قرب حدود السودان جنوباً حتى أسوان شمالاً ، في قبائل وعشائر متفرقة ، وهم يتركزون الآن في محافظة أسوان حيث هُجروا بعد بناء السد العالي إلى ما يسمى بالنوبة الجديدة بين الأقصر وأسوان ، بعد أن غمرت مياه بحيرة ناصر منطقتهم الأصلية ، وهم يختلفون وبقية سكان مصر ؛ إذ لهم طابعهم وعاداتهم وتقاليدهم ولغتهم (النوبية) غير المكتوبة والخاصة بهم ، وذلك إلى جانب اللغة العربية المصرية بلهجتهم النوبية ؛ كما يتميزون أيضاً ببشرتهم السمراء . وبحكم موضعهم جغرافياً كانوا أكثر اتصالاً وتأثراً بخصائص الفن والفلكلور الأفريقي ، ويبدو ذلك واضحاً في استخدامهم السلم الخماسي ، وفي طابع وسمات فنونهم التشكيلية . أما الموسيقى الآلية لديهم

فهي لا تخرج عن الدفوف (الطار بأحجامه المختلفة) علاوة على الآلة الموسيقية الوترية الفريدة لديهم ، وهي الطنبورة (تشبه السمسمية البورسعيدية وتماثل في شكلها وتركيبها وتصنيعها البدائي آلة القيثارة أو الكنارة الفرعونية تماماً ، ولها خمسة أوتار مثلها تضبط بالأسلوب نفسه خجاسياً ، وتعزف بالطريقة نفسها أيضاً) . وهي الآلة الفريدة التي تستخدم فلكلورياً وشعبياً في مصر حيث تستخدم منفردة أو بمصاحبة الرقص والغناء .

وسكان هذه المنطقة يميلون بطبيعتهم الأفريقية إلى استخدام التركيبات اللحنية والإيقاعية المركبة : فهم يستخدمون بعض أنواع تعدد التصويت البوليفونية التلقائية البدائية ، والتي تحدث نتيجة لتنوع الطبقات الصوتية البشرية من الرجال والنساء والتي تختمها طبيعة الأداء الجماعي . أما الإيقاعات فلها عندهم المقام الأول ، حيث نجد أن الأغاني والرقصات الفردية والجماعية تعتمد أساساً على المصاحبة الإيقاعية المركبة (البوليرتم) ، والتي تأخذ أحياناً طابع المصاحبة المطلقة بلا مساندة من أية آلات أخرى ، وبهذا تشكل الإيقاعات لنوية في ذاتها ألحاناً ، وهذا ما لا نجده تقريباً في بقية أنحاء مصر .

والنوبيون يستخدمون الدفوف ببراعة فائقة وفي خطوط متشابكة في وقت واحد حيث تنفرد كل مجموعة بشكل إيقاعي معين ، وذلك دون أدنى خلل ، وفي تطابق وتآلف بديع ؛ كما أن لهم أسلوباً خاصاً في

استخدام التصفيق بالأيدى الذى لا يكون مجرد ضبط للوحدة الإيقاعية كما هو فى مناطق مصر الأخرى ، بل يؤدى هنا دوراً وخطأً مستقلاً يمكن اعتباره فى ذاته لحناً أو ميلودية من الإيقاعات ، هذا إلى جانب الدفوف والغناء مكونين بذلك نوعاً حقيقياً من تعدد التصويت الطبيعى والذى لا نجده بهذه الصورة الفريدة فى أى مكان فى العالم على الإطلاق . وفى النوبة يغلب الأداء الجماعى الذى يساهم فيه جميع الموجودين بلا استثناء بالرقص أو العزف على الطنبورة والدفوف أو التصفيق والغناء بين المجموعات المتقابلة فى شكل حوارى .

وبينا تقوم المرأة فى الدلتا والصعيد بدور هام فى الأداء الغنائى الفلكلورى وخصوصاً فى أغاني الأفراح يقوم الرجال هنا بالدور الأساسى على حين يقل إلى حد كبير دور المرأة فى الإبداع والممارسة الفلكلورية والشعبية فى النوبة .

والنوبيون لهم رقصاتهم الخاصة والمحدودة من الناحية الحركية الهادئة المثثة ، فى حين نجد الألحان والإيقاعات قوية ونشيطة . ويقوم الرجال بالرقص بشكل جماعى ، وقليلاً ما تشترك المرأة التى يبدو دورها هنا ثانوياً أيضاً ، وقد تشترك راقصة واثنتان على الأكثر فى أداء بعض الرقصات المعينة . وهم بذلك يتشابهون والبدو وسكان محافظة مطروح .

سادساً : مناطق البدو :

وهم البدو الرحل فى الصحراء الغربية وسكان الواحات ومحافظة

مطروح والصحراء الشرقية وسيناء ، وهم يتشابهون في لهجتهم وعاداتهم وتقاليدهم وفنونهم ، ويختلفون فيها وبقية سكان مصر ، وتميز لهجتهم في نطق العربية بكلمات ومعانٍ واستخدامات وتعبيرات خاصة قد يصعب أحياناً على أهالي المناطق الأخرى فهمها بوضوح من أول وهلة . وهي تعتمد على إدماج حروف الكلمات بعضها في بعض ، والنطق السريع بطريقة مقطعية مشابهين في ذلك كثيراً من مواطني دول شمالي أفريقيا وخصوصاً الليبيين والتونسيين ، وهذا ما جعل العلماء يقولون إنهم يتسبون إلى أصل واحد .

والبدو هم أكثر سكان مصر بعداً عن التأثيرات الحضارية الحديثة إلى حد ما برغم وصول بعض وسائل الاتصال والإعلام الحديثة إليهم وبذلك يشكلون بالنسبة لعلماء الدراسات الأنثروبولوجية مادة هامة للدراسة . ويلاحظ أن الرجال يقومون بالدور الأساسي في مجال الأغنية والموسيقى والرقص ، ويتضاءل دور المرأة وخصوصاً في الأفراح وجلسات السمر الجماعية والمناسبات الشعبية المختلفة . وقد يرجع ذلك إلى أنهم يؤثرون عدم الاختلاط بين الرجال والنساء ؛ ولذلك فعظم رقصاتهم يقوم بها الرجال وقليلاً ما تشترك فتاة واحدة أو اثنتان على الأكثر وهن محجبات في رقصات خاصة مثل رقصة الحجاة ، على حين أن بعض الأغنيات لا تؤدي إلا بين الحريم ، وبذلك فلا مشاركة جماعية من الجنسين في الأداء الغنائي .

أما الإيقاع المصاحب للأغاني والرقصات فهو يتشابه إلى حد ما وخصائص الإيقاعات النوبية ، من حيث التركيب والوضوح ، ولو أنه ليس على تلك الدرجة من التعقيد كما في النوبة . والموسيقى والأداء الآلي البحث لا وجود لها تقريباً إلا لمصاحبين للأغنيات والرقصات ولا سيما بين المحترفين ، حيث يستخدمين الطبول مثل الطبلبة السيوى مع التصفيق ودق الأرجل ودق العصى بعضها ببعض ، وقليلاً ما يستعملون الخمسة وهي آلة نفخ من نوع المزمار .

والأداء الغنائي والرقص يؤديان بصورة جماعية ، ولأن الغناء هو الأصل والكلمة هي التي أهم - فإن كثيراً من الألحان تغنى عليها عدة نصوص في موضوعات مختلفة وهذا ما يؤكد أصالة تلك الألحان . والألحان نفسها تدور في مساحة لحنية ضيقة ، وهي هادئة تسم بالجملة الموسيقية البسيطة والقصيرة المتكررة بصورة ملحوظة ، وذلك في تسلسل بعيد عن القفزات اللحنية الواسعة ، وتبنى على عدة أساليب منها المقامات العربية إلى جانب الأسلوب الخماسي وقبل الخماسي متشابهة جداً وإلى حد بعيد مع خصائص الفلكلور الليبي والتونسي .

والبدو والنوبيون هما الفئتان الفريدتان في مصر كلها واللذان لها رقصات خاصة بهما ، لها خطواتها ووظيفتها المحددة ؛ ولكن ألحانها وخطواتها محددة الحركة والسرعة . وقد تكون الأغنية المصاحبة للرقصة لها الدور الأساسي ، والرقص له الدور المكمل ، وقد يكون لكل منهما

دور قائم بذاته ، كما أنهم قد يبدأون بالغناء ثم تبدأ الرقصة بعد ذلك .

سابعاً - منطقة قناة السويس :

وهي المنطقة التي على امتداد القناة من بورسعيد شمالاً حتى السويس جنوباً ، وهي تتشابه في بعض خواصها الموثليقية ومنطقة النوبة ، إلى جانب بعض خصائص السواحليين ، وذلك في امتزاج يعطيها طابعاً جديداً يخالف بقية أنحاء مصر أيضاً ، فهم لا يستعملون سوى آلة السمسمية التي تشبه الطنبورة النوبية في شكلها وصناعتها وصوتها ، ولكنها تخالفها في تحوّل ضبطها من السلم الخماسي إلى السلم السباعي وخصوصاً على مقامى الراست والعجم . ولعل سبب انتشار هذه الآلة في منطقة قناة السويس بالتحديد دون مناطق مصر الأخرى يرجع إلى أن أغلبية السكان الذين استقروا في هذه المنطقة من ذرية من عملوا في القناة منذ شقها ، وكانوا من أصل نوبى ويعملون في الخدمات بالمعسكرات الإنجليزية ومرافق شركة القناة حينئذ .

وبجانب السمسمية لا نجد سوى الإيقاعيات مثل الطبلية (الدربكة) والطار والبنجر حالياً ، واستخدام إيقاعيات مبتكرة مثل الدق بملقعة بين كوين أوزجاجتين ، وذلك للدور الهام الذى يؤديه الإيقاع المصاحب الذى يتميز بالحوية والقوة ، ولكنه ليس مركباً ومعقداً مثل الإيقاعات النوبية الأصلية ، ويكون مصاحباً بالتصفيق الذى يكون له دور أساسى

وخط واضح ، وقد يكون بضمّ إحدى اليدين والدق عليها باليد الأخرى أحياناً .

والأغنيات تؤدي دائماً جماعية حيث يتولى القيادة فيها صوليست منفرد ، ويتم الغناء بالتبادل بينه وبين المجموعة بشكل حوارى ، وعادة ما تقوم السسمية بالمصاحبة اللحنية ، حيث تجرى الألحان فى عذوبة وحيوية متدفقة تضيفها روحهم المرحّة فى مساحة لحنية واسعة نوعاً . ولعل اتصالحهم المباشر بالأجانب وخصوصاً الأوربيين بحكم عملهم فى هذه المنطقة التى تشكل أهم ممر ومركز عالمى للاتصال بين شقى العالم ، - جعلتهم فى السنوات الأخيرة يغيرون ضبط السسمية من السلم الخامس إلى السابعى ، وخصوصاً بين طبقة عمال الموانى والبمبوتية (قبل إنشاء المنطقة الحرة ببورسعيد) فى سهراتهم وجلسات السمر وفى أثناء العمل على إيقاع المجاديف .

ويلاحظ بوضوح أنه ليس للمرأة دور فى حقل الأغنية والموسيقى فى هذه المنطقة ، حيث يقوم الرجال بذلك مثل النوبيين والبدو ، ويؤدى النص هنا أيضاً دوراً هاماً حيث تتحدث أغانيهم عن الإيمان والأمل المشرق ، وعن معانى الكفاح والبطولة والرجولة نظراً لظروف هذه المنطقة التى كانت مطمعاً استعمارياً يهدف إلى احتلال المنطقة فى عدة حروب متتالية ، وكانت مسرحاً للعمليات العسكرية التى وقف فيها أبناء المنطقة برجولة وبطولة للدفاع عن أرضهم ومدنهم .

الأغنية الفلكلورية ووظيفتها الاجتماعية

إن الأغنية والموسيقى الفلكلورية تعد مقياساً من مقاييس التحقق والتعرف على حضارة وذوق وفكر ومقومات الإبداع للشعوب المختلفة . وهي صورة صادقة وحقيقية ومباشرة من صور التعبير عن المشاعر والوجدان الشعبي والجماعي ؛ لأنها تتضمن بجانب القيم الفنية والجمالية قيماً أخرى أدبية وتاريخية وفكرية وتربوية يمكن بسهولة تبيينها وتتبع حلقات تطورها عبر مراحل التاريخ المختلفة . وهي تحمل أيضاً قيم تلك الشعوب الاجتماعية المتوارثة من عادات وتقاليد بما تحويه من مقومات أخلاقية وروحية وفلسفية . ومن خلال دراستها يمكن التعرف والوقوف على تجارب الشعوب العملية في صنع حياتها طبقاً لظروفها البيئية والاقتصادية والسياسية ، وعلى أسلوب مسيرتهم ومعايشتهم للحاضر وتطلعاتهم المستقبلية ؛ لهذا فهي تعتبر بحق وثائق تاريخية وكنوزاً حضارية . هذا إلى جانب ما تحمله من قيم موسيقية من ناحية التركيب اللحني . والمقامي والإيقاعي وأسلوب معالجتها للنصوص من الناحية اللغوية .

والأغنية الفلكلورية مرتبطة بالحياة المادية وروحية للناس ؛ لأنها تتم في داخل مجتمع وبشكل جماعي ؛ فهي بذلك لا تزال قادرة على تحقيق

وظيفتها الأساسية ، وفي مثل الظروف التي وجدت فيها ومن أجلها أصلاً . ولا تزال صمام الأمان للناس في أوقات الشدة والضييق ، تعينهم على إنجاز الأعمال الشاقة والصعبة حيث يجدون فيها متنفساً للعواطف المكبوتة والأحاسيس والمشاعر الإنسانية المقهورة ، إلى جانب أهم وظيفة لها كوسيلة للترفيه والمرح وإشاعة البهجة والسرور ؛ كما أنها تساهم في تحقيق غايات تعليمية وتدريبية أخلاقية وسلوكية لمساهمتها في استيعاب واكتساب قدرات ذهنية وامتعات فنية للمؤدى والمستمع على السواء ، وهى كذلك فى ذاتها عامل مساعد هام لممارسة فنون أخرى كالرقص والتمثيل ، أو تقوم بدور المنظم والمرشد لإتمام وتحقيق غايات هامة مثل تنظيم الحركة وتوجيهها ، والربط بين الفرد والجماعة فى داخل إطار عام ؛ كما فى أغاني العمل الجماعية وألعاب الأطفال . . . إلخ .

إن الأغنية الفلكلورية فى مصر منذ الفراعنة حتى الآن تواكب حياة الإنسان المصرى من المهد إلى اللحد معبراً بها عن أفراحه وأحزانه ؛ مشاركاً بها فى مختلف المناسبات : فبذ اللحظة الأولى لميلاد طفل مصرى تبدأ الأغنية والترنيمه تأخذ طريقها إلى أسماعه : تهنئه وتهدهه لينام أوليهاً على إيقاع الأغنية الحالم الهادئ الرقيق ، ثم تودى له الأغنيات فى الاحتفال بمرور أسبوع على مولده وسط فرحة العائلة والأبوين من خلال طقوس معينة ، ثم تأتى أغنيات المهد وترقيص وملاعبة ومداعبة الأطفال . ولا تمر عدة سنوات قليلة حتى نجد أن الطفل نفسه أصبح

مؤدياً وممارساً ومبدعاً لنوع هام من الأغنيات يوديه وهو يلعب ويلهو مشاركاً أقرانه .

ثم تأتي مرحلة الصبا والشباب بأغنيات الأعياد والجماعات وأغاني العمل الجماعية والفردية .

وبعد ذلك تكون أغنيات الحب والزواج والأفراح بطقوسها المختلفة .

ثم الأغنيات الدينية الجماعية والفردية في الموالد والمناسبات الدينية والقومية ، ثم أغاني الحجيج والحداد والعديد .

وعلى الجانب الآخر نجد السير والملاحم والمواويل والقصائد والقصص الشعبية ذات الصفات التراثية ، والتي لا يمكن اعتبارها كلها إلى حد ما فلكلورية .

وهذه الأنواع المتعددة والمختلفة والمتباينة تماثل وتتشابه في شكلها وإطارها العام في كل أنحاء مصر ، ولكنها قد تختلف في بعض الجزئيات بسبب اللهجة أو العادات أو التقاليد أو الطبيعة والظروف الخاصة بكل منطقة كما سبق أن أشرنا .

أغنيات الطقوس والمناسبات

١- أغنيات السبوع :
في اليوم السابع لميلاد الطفل ، تدعو لأسرة أقاربها والجيران

ليحتفلوا معاً بسبوع المولود وبعدون أكياس الحلوى والشموع (وقلة المولود . التي تحلى بالورود وتوضع في الصينية التي يلقى فيها المدعوون بالنقود من القطع المعدنية) . وفي المساء تضاء الشموع حول القلة وكل شمعة تحمل اسماً مقترحاً للمولود أو المولودة ، وفي صباح اليوم التالي تتقدم المولدة (الداية) إن وجدت ، أو جدة الطفل موكب السبوع مع الطفل الذي تحمله أمه أو إحدى سيدات العائلة وحوهم الأهل والجيران وأطفالهم وهم يرددون :

برجالاتك برجالاتك حلقه ذهب. في وداناتك

مع الدعوات الطيبة للطفل والوالدين بالصحة والسعادة وطول العمر في جولة داخل المنزل وحوهم حملة الشموع من الأطفال ، وتقوم الداية أو الجدة برش الملح والحلوى التي يتخاطفها الجميع . وعند عودة الموكب إلى حجرة الأم تضعه الداية في (غربال) وتهزه بعنف لكي يتنبه (ويصحصح) وحتى لا يصبح خوفاً ، على حين تدق إحدى سيدات الأسرة (الهون) فارغاً محدثة صوتاً رناناً وهي تردد بعض النصائح موجهة كلامها للطفل بأن يسمع كلام أمه وأبيه وإخوته . الخ . وفي الوقت نفسه يردد الأطفال والموجودون وراءها ما تقوى ، كما يغنى الأطفال راجين أن يكبر الطفل ليصبح مثلهم ويلعب معهم . وبعد انتهاء هذا المهرجان توزع بقية الحلوى والشموع على الأطفال .

هذه المناسبة الشعبية برغم أهميتها تسهم فيها الأغنية بعدد قليل

ومحدود من الأغنيات التي تتشابه في نصوصها ومضمونها وألحانها البسيطة في أنحاء مصر كلها ، وقد اختفى الكثير منها في هذه الأيام فعلا والباقي هو أيضاً في طريقه للاندثار والنسيان ، وخصوصاً بعد أن انتشرت مواضع الاحتفال بهذه المناسبة بشكل (مودرن) بعيداً عن طقوسه الأصلية وبرغم ذلك فما زال منها واحدة أو اثنتان منتشرتان .

والألحان في هذا النوع تتميز بالبساطة الشديدة والبناء اللحنى السهل الذي يغلب عليه طابع الأداء الإلقائي ، وتنطبق عليها خصائص أغاني الأطفال البسيطة والتي لا تتطلب استعداداً موسيقياً خاصاً لأدائها ؛ ولذلك فالجميع - أطفالاً وصغاراً وكباراً - يستطيعون أداءها برغم اختلاف السن والنوع والطبقة الصوتية .

٢- أغاني المهد وترقيص وتهنين الأطفال :

هذا النوع من الأغاني تجده في كل مكان بالعالم وتعرفه جميع المجتمعات الإنسانية الشعبية وغير الشعبية أيضاً ؛ فهو يرتبط بوظيفة هامة إنسانية ، وله بديهاً مؤدية واحدة مفردة هي الأم خصوصاً والأخت أحياناً ، ويكون المستمع أو المتلقى الوحيد أيضاً هو الطفل ، وهي تهدده لينام أو ليكف عن البكاء أو لمداعبته وملاعبته وترقيصه ، وهذا النوع ينقسم إلى نوعين أو شكلين مختلفين :

(١) أغاني المهد :

وهي تعتمد على نص ساذج قصير متكرر ويؤدي على إيقاع هادئ خفيف رقيق هو سرعة اهتزاز الطفل وهددته في مهده أو بين يدي الأم ، ويلاحظ أن السرعة تأخذ البطء تدريجاً عندما يسكت الطفل ويداعب النوم جفونه . أما اللحن نفسه فهو بسيط جداً ولا يتعدى درجتين (نغمتين) أو ثلاثاً على الأكثر ، ليناسب وظيفة الأغنية . وقد يكون النص مجرد همهمات هادئة رتيبة مثل (هو هو هو - نينه نام - ... إلخ) وله نماذج كثيرة منها :

نام نام وأنا أجيب لك جيزين حمام

مانخفش يا حمام دنا بضحك ع الونو لما ينام

هو

أما قالولى دا ولد أنشد ضهرى وتسند

أكلونى البيض مقشر عليه سمن البلد

أما قالولى دا غلام أنشد ضهر أبوه وقاد

وجابولى البيض مقشر عليه السمن عام

لما قالوا دى بنية نورت البيت عليه

وجابولى البيض بقشره وبدال السمن ميه !

(سخا . كفر الشيخ ١٩٧٣)

(ب) أغاني ترقيص وملاعبة الأطفال :

وهي على عكس النوع الأول ، تؤدي والطفل متيقظ ويراد بها تنشيطه وملاعبته على إيقاع منتظم نشيط يواكب حركة ترقيص الطفل :

ست لها وبنت لها وقرنفلها ع العيداني
 ولها منخل عمال يُنخل يتدأج لولي ومرجاني
 يامحتشتي الدنيا بتشتي بنت للمأمور راكبة الحنطور
 بدمتي بحسبها انتي

(سخا - كفر الشيخ ١٩٧٣)

وهذا النوع ألحانه أيضاً قصيرة متكررة بسيطة التركيب ، وتغني بشكل تغلب عليه الارتجالية ، كما تبدو بعض النصوص أحياناً ارتجالية أيضاً ، وذلك بسبب عدم العثور على ألحان ونصوص ثابتة محفوظة إلا بشكل قليل الآن . وربما اختفت واندثرت مع مرور الوقت ألحانها الأصلية المتوارثة .

وهذا النوع بالطبع ليست له مصاحبة إيقاعية ، ولكن حركة ترقيص الطفل هي التي تشكل في ذاتها الإيقاع الذي تقوم عليه الأغنيات غير أنها على خلاف النوع السابق ذات حركة منتظمة نشيطة ومرحة لتناسب بذلك الهدف الذي وجدت له ؛ كما ينطبق هذا اللون أيضاً على الأغنيات والأهازيج التي تؤدي للطفل في أثناء محاولاته الأولى للممارسة

النشاطات الإنسانية مثل الكلام والمشى . . . إلخ .

٣- أغاني الختان :

وهذا النوع من الأغنية للفلكلورية يؤدي في مناسبة ختان الذكور من الأطفال ، وهذه العادة منتشرة في منطقة الشرق الأوسط ولا يعرفها كثير من الشعوب الأخرى ؛ ولذلك فنحن لا نجد لها نصوصاً وأغنيات إلا عند العرب بالتحديد .

ويحتفل بهذه المناسبة في مصر بين الأوساط الشعبية احتفال كبير قد يصل في بعض الأحيان إلى مستوى حفلات العرس ، وخصوصاً في حالة الطفل الوحيد للأبوين والطفل الأول . أما ختان البنات الذي لا ينتشر أيضاً إلا في المنطقة العربية فلا يحتفل به في مصر ولا نجد له نصوصاً تصف تلك المناسبة : على حين نجد قليلاً منها في دول الخليج . وهذه العملية يقوم بها في العادة حلاق الصحة أو المزين ، ونادراً ما يقوم بها الطبيب بين الأوساط الشعبية ، وغالباً ما تكون بين السنة الثانية إلى الخامسة من عمر الطفل . وفي اليوم المحدد لإجراء العملية يلتف أفراد الأسرة حول العريس الصغير الذي يلبس جلباباً أبيض وتجري له زفة في القرية أو في المنطقة التي يقيم بها وهو يمتطي جواداً ويركب خلفه خاله أو عمه أو في حنطور يتقدمهم الطبل البلدي أو المزىكا الأفرنجية . وفي الحالات المتواضعة يحمله أحدهم على كفه وحوله العائلة ، وتقوم

الفتيات بالغناء على إيقاع التصفيق بالأيدي مصاحباً بالزغاريد حتى يصل الموكب إلى منزله حيث المزين بأدواته في انتظاره ، ووسط هذا الضجيج الذي يُحدث نوعاً من الانبهار للطفل ، ووسط الزغاريد والتصفيق والأغنيات - تتم العملية الشاقة حيث تته صرخات الطفل وتلقفه الأيدي حتى أحضان أبيه أو أمه ، وسرعان ما ينسى وسط هذا الصخب آلامه بين توزيع الشرابات والحلوى ، والأغنيات التي تمنى له الصحة وطول العمر له ولوالديه وللمزين أيضاً :

دخل المزين بعدته وأمواسه

حلف المزين ما ياخذ إلا شاله

شاله الرهيف يلبسه لآخواته ... الخ

(ميت أبو عري - الشرقية ١٩٧٢)

والملاحظ أن هذا النوع من الأغنيات وهذه البقوس بدأت في الاندثار أيضاً ، ولم نعد نجدها في الاستعمال الشعبي الآن إلا في عدد ضئيل جداً منها ؛ حيث تؤدي هذه العملية جراحياً في المستشفيات بلا أغنيات أو احتفال . وإن وجدت ففي أضيق الحدود .

والألحان بسيطة جداً قصيرة سهلة وتؤدي جماعياً ، وتقوم المجموعة بالترديد خلف صوليسته (والمرأة هنا أيضاً هي المؤدى الأول لهذا النوع) مصاحبة بالتصفيق فقط بلا أية مصاحبة أخرى إيقاعية أو آلية .

٤ - أغاني وألعاب الأطفال :

أغاني وألعاب الأطفال تتشابه في كل أنحاء العالم من حيث الخصائص والسمات الموحدة في التركيب والتشكيل الذي يعتمد على التكوين النفسى والجسمى للطفل ، وتوافق حاجاته وإمكاناته البسيطة والمحدودة ؛ ولذلك فهذا النوع من الأغنيات في مصر بسيط وسهل يتناسب الإمكانيات الحركية والصوتية والفكرية للطفل وحاجته للعب والنشاط ؛ فالأغنية ترتبط دائماً باللعبة . ومن النادر أن نجد أغنية تناسب الأطفال بدون حركة تتمثل في لعبة أو تمثيلية تناسب مداركهم وخبراتهم التي قد تكون مرتجة أحياناً . وتدور الأغنية في حيز ضيق وفي حركة لحنية محدودة جداً تناسب إمكانيات الطفل الصوتية والموسيقية المحدودة في تسلسل لحنى بسيط مواكبة بذلك حركة اللعبة أو التمثيلية وخطواتها حيث الإيقاع الداخلى للأغنية هو المنظم للحركة التي يحددها الإيقاع المتظم الذي يضيفه النص والتقطيع العروضى ذو التفعيلة البسيطة المنتظمة ، والقافية الواضحة التي لا بد أن يحافظ عليها حفاظاً على القيمة الإيقاعية للنص دون العناية بسياق المعنى . بل قد يجد كثيراً من الكلمات والمعاني الساذجة التي لا تحمل مفهوماً عقلاً نياً أو منطقياً واضحاً . فمثلاً :

واحد اثنين سرجى سرجى . إنت حكيم ولا تترجى أنا حكيم الصحية

العيان أديله حقنة والمسكين أديله لقمة
نفسى أزورك يانبي يالى بلادك بعيدة فيها أحمد وحميدة
حميدة ولدت ولد سماته عبد الصمد
مشاته ع المشاية خطفت رأسه الحداية حديا بدياراس القرد.. إلخ

(الحمراوى - كفر الشيخ ١٩٧٢)

وبديها تكون الأغنيات بلا مصاحبة موسيقية أو إيقاعية ، وغير
مصاحبة أيضاً بالتصفيق . والأغنية تساهم بذلك فى تحقيق وظيفة
اجتماعية هامة هى تحقيق الترابط بين الطفل وأقرانه وتكيفه مع الجماعة ،
وضرورة تعوده النظام والالتزام بما تحدده وتتطلبه قواعد وأصول اللعبة
الجماعية التى لا تكون فردية مطلقاً ، إلى جانب القيم الأخرى التوجيهية
والتعليمية التى يحتوئها النص بشكل مبسط .

وأغاني الطفل تنقسم إلى نوعين :

(أ) أغنيات ذات نص ولحن يمكن استخدامها لمصاحبة أية لعبة ،
دون ارتباط بلعبة معينة ، ولكن أهميتها تكمن فى قيمتها اللحنية والإيقاعية
التنظيمية فقط .

(ب) أغنيات محددة مصاحبة لألعاب معينة لا تنفصل عنها ومرتبطة
بها وتواكب خطوات اللعبة أو التمثيلية وخطها الدرامى ، ويؤدى فيها
الأطفال أدواراً معينة .

وقد لا تصاحب الأغنية اللعبة نفسها ، بل تستخدم فقط عند

الإعداد للعبة ، واختيار أفرادها وتوزيع الأدوار مثل (العسكر والحرامية- الاستغاية- التعلب فات فات . إلخ) .

٥- أغنيات الأعياد والمناسبات العامة :

وهي تؤدي في المناسبات المختلفة القومية والدينية مثل الأعياد والمواسم وشهر رمضان . إلخ

يا برتقال أصفرٌ وجديدٌ بكره الوقفة وبعده العيدُ
يا برتقال أصفرٌ وصغيرٌ بكره الوقفة وبعده نغيرٌ

(شبين الكوم منوفية ١٩٦٧)

وهذا النوع من الأغنيات قد قل واضمحل إلى درجة كبيرة بعد أن تخلى الناس عن عاداتهم وتقاليدهم القديمة جرياً وراء المواضات الحديثة حتى خبت فيهم الروح الابتكارية ، وأصبحوا مجرد مستمعين لا ممارسين معتمدين في ذلك على الآخرين من المحترفين ، أو من خلال أجهزة التسجيل والأسطوانات ولا سبباً الأجنبية منها مع شديد الأسف .

وهذا النوع تؤديه مجموعات من الفتيات غالباً والفتيان نادراً ، إلى جانب الأطفال ، بشكل جماعي فقط ، وبأسلوب حوارى تبادلي . والألحان فيها مشرقة وتدور في منطقة صوتية أكثر تطوراً واتساعاً من الأنواع السابقة نظراً لطبيعة المؤددين ، حيث تشبه في تركيبها وإطارها العام أغاني الأفراح . وبالطبع ليست لها أية مصاحبة موسيقية آلية (كما

هو الحال في الفلكلور المصرى بشكل عام) وحيث تقتصر المصاحبة الإيقاعية على التصفيق بالأيدى فقط في أكثر الأحيان .

٦ - أغاني الحب والأفراح

تشكل أغاني الحب والزواج والأفراح تراثاً عظيماً وكتراً فنياً من الأغنيات التي يبدو من تركيب بعضها أنها شديدة القدم ، وبعضها الآخر يبدو عليه بعض الحدائث . وهذا النوع يشكل من ناحية الكم العدد الأعظم والأغزر بين جميع أنواع الأغاني الفلكلورية المصرية . أما من ناحية الكيف فهي تضم بينها أبسط الأغاني وأسهلها ، وكذلك أكثرها تطوراً من ناحية البناء والتركيب والحركة والمساحة اللحنية . ولأغاني الأفراح بحكم وظيفتها الترفيهية الاجتماعية التي ترتبط بأهم المسرات في حياة الإنسان المصرى ، أهمية خاصة حتى بالنسبة لعلماء وباحثي العلوم الإنسانية والفنية والأدبية وأيضاً الموسيقية والأغنية هي العامل المشترك الذي يساير مختلف الطقوس الخاصة بالأفراح ؛ ومن ثم فنحن نجد نوعيات مختلفة من الأغاني قد تتشابه أو تختلف قليلاً في الأسلوب على حين يحمل النص وجه الاختلاف الأكبر الذي يعبر عن مواضع وخطوات تلك الطقوس بداية بأول تفكير في الزواج حتى الصباح التالي لليلة الدخلة .

وطقوس الأفراح في مصر بشكل عام متشابهة (وخاصة في الدلتا

(والصعيد) مع وجود اختلافات بسيطة في التفاصيل في المناطق الأخرى ، وهي تتلخص في التالي

عندما تتم موافقة أقطاب العائلة على العروس المناسبة يذهب رجال العائلة ومعهم العريس لطلب يدها وذلك بعد أن يمهد النساء لذلك .
وحالما يوافق أهل العروس ويتفقون على الشبكة والمهر وغيرهما ، تصبح بذلك الفتاة معلنة كمخطوبة للعريس بعد أن يقدم لها الشبكة ، وهنا تبدأ الفتيات من أهل وجيران وصديقات العروس بالتجمع كل مساء في دارها يغنين لها ، حيث تتحدث الأغنيات عن جمال العروس وعن مهارتها وعن حبها ونسبها ، مشيدات بالعريس الشاطر الذي عرف كيف يتتى عروسه جيداً :

هو اللي خطبها	روح يقول لأمه أنا ميت في نسبها !
هو اللي نقاها	روح يقول لأمه أنا ميت في هواها !
آه منك يا واعى	خت الحلوة ومبت الوحشة لغسيل المواعى !
آه منك يا حصوة	خت الحلوة ومبت الوحشة لغسيل المصفة !

(كفر عسكر - كفر الشيخ ١٩٧٣)

وعلى الجانب الآخر تقوم الفتيات من أهل (العريس) بدور مماثل .

حيث يغنين (للعريس) الصغير الشهم الكسب
وفي هذه الفترة تتناول الأغنيات أيضاً معاني الحب والغرام ،
وتتحدث عن العلاقة بين الجسين ، وإلى ما هو أبعد من ذلك بلا خجل

ولا خوف ، حيث تجد الفتيات فيها متنفساً لأحاسيسهن ومشاعرهن المكبوتة . وهن لا يتحرجن من خلال الأغنيات أن يُشرنَ إلى ذلك بالذكاء الشعبي المعهود ، ويخدمهن في ذلك النص الذي يتخذ من وسائل البلاغة من تورية واستعارة وكناية سبيله حتى يبدو النص ساذجاً وبريئاً بالنسبة للصغار على حين يجد فيه الكبار غير ذلك .

يم الصدر الأبيض ذى المشا الله

طالبة منك يا بابا طلب مش كبير أربع غوايش ذهب وداير سرير
وجاموسة حلابة أعمل منها الفطير وعريس صغير مايكونش كبير
آخده في حضنى واتكل على الله

◦ ◦ ◦

يانينة على الأسمر يانينة جننى

يارتنى أنا لامونة

على الشجر مركونة

كل البنات بتتجوز وأنا فى حبك مرهونة

ياريتنى أنا تفاحة

على الشجر أنا مرتاحة

كل البنات بتتجوز وأنا فى حبك سواحة

يانينة على الأسمر يانينة على حالى

(الجميزة - الغربية ١٩٧٣)

وفي ليلة الحنة التي تسبق الدخلة (يمكن أن يكون عقد القران في يوم الدخلة نفسه ، وقد يكون قبله بمدة تطول أو تقصر) - تتركز الأغنيات حول الحنة وليلة الحنة ، ربطاً بينها وبين (العروسة) كرمز للإشراق والخصب ، مع الإشادة بمحاسنها وصغر سنها ، حتى لو كانت أبعد من ذلك بكثير .

مدى إيدك يا عروسة يدى إيدك بالحنة
ليلة حتك يا عروسة نصبلك ستاير تल्ली
شعرك فرقتين يا عروسة الأماظ يزین إيديكى

(سخا - كفر الشيخ ١٩٧٣)

وفي اليوم التالي وهو ليلة الدخلة تكثر الأغنيات ذات الأهداف الاجتماعية المملوءة بمعاني الصبح والإرشاد والتوجيه للزوجة والأم المستقبلية . وتدور حول علاقتها بزوجها وحماها وأهل زوجها ، إلى جانب بعض النصائح الأخرى المباشرة بالحرص على أن تهتم بمنزلها وزوجها ، وأيضاً بسلوكها ونظافتها الشخصية .

ليه يابن عمى تتجوز عليه

بتجوز عليكى من قشف رجلكى روحى اغسلها وانتي تلدى عليه

ليه يابن عمى تتجوز عليه

بتجوز عليكى من عماصى عنيكى روحى اغسلهم وانتي تلدى عليه

(ميت أبو عزى - الشرقية ١٩٧٣)

وهناك أغاني أخرى تتحدث عن (العريس) والعروس وصفاتها ،
والأمنيات الطيبة لها بحياة سعيدة وافرة ، كما تحيي الأغنيات والد العروسة
وتشكره على حسن تربيته وتجهيزه وإعداده لها :

سَلِّمْ أبوها سَلِّمْ جاب العفش ونممه
يا حلاوتكى يا عروسة يا حلاوتكى

عربية العمدة يا عروسة جاية شبكتكى
(عزبة البرج - دمياط)

وفي أثناء عقد القران تتناول الأغنيات مناقب العروسين وتتحدث
عن المهر الكبير الذى دفعه (العريس) تقديراً للعروس الغالية وتحيي
والده وأهله والمأذون والمعازيم أيضاً .

كتبوا كتابك يانقاوة عيني والصحن فضة والمعالق صيني
(سخا - كفر الشيخ ١٩٧٢)

وفي المساء تزف العروس مع عريسها الذى يأخذها لبيت الزوجية
الجديد فى موكب حافل بالطبل البلدى أو المزيكا الإفرنجية ، وفى
الحالات المتواضعة جداً بين تصفيق وغناء الأهل والأصدقاء . وتكون
العروس راكبة فى التختروان أو على حصان أو فى الحنطور ، وحديثاً فى
سيارة . وبعد العشاء يزف (العريس) بمفرده بين أقرانه فى جولة داخل

القرية اوالحى إلى منزله .

وأغنيات الزفة لها طابعها الخاص ، فهي إلقاء أكثر منها لحنية وعلى إيقاع التصفيق بالأيدى والزغاريد ، وتؤديها الفتيات غالباً . أما الفتيان فليس لهم سوى صيحة واحدة معروفة في كل أنحاء مصر وتؤدي بين الحين والحين في أثناء توقف الموكب لتلنى النقوط من الأهل والمعارف .

الورد كان شوك من عرق النبي فتح
 ياسيدنا الحسين نظرة سعيد يانبي سعيد
 ومن صلى عليه يسعد مبروك عليك يا عريس
 كعب البنت ريال مدور ياما خلق ياما صور
 مملوك وطالع من الحمام برسيمك نور يا شارنى
 وعلى أول حشة يا برسيم الخ

(كفر عسكر - كفر الشيخ ١٩٧٣)

ثم تأتي ساعة الدخلة وفيها تطلب الأغاني من العروس أن تشرف أهلها وأن ترفع رأسهم وتحدث عن طهارتها وأدبها وحسن تربيتها .
 يا بحر روق نغسل الشاشاني واحنا اتنصفنا يا عدوة موتى
 يا بحر روق نغسل المناديلي واحنا اتنصفنا يا عدوة ميلي
 (ميت أبو عري - شرقية)

١٩٧٣

وفي صباح اليوم التالى للدخلة (الصباحية) تذهب أم العروس

والسيدات والفتيات من عائلتها إلى ابنتهن العروس محملات بالهدايا
والمأكولات وهن يغنين ويتمنين لها الحياة السعيدة ، وأن تعمّر بيتها
وتملأه بالأولاد وتعيد إلى بيت العائلة الحية والشباب .

أم العريس تقول ربى عطاني

دى مشيتها تنور وسط دارى دى قعدتها تخلف لى الصبيان
وبذلك نجد أن الأغنية قد ساهمت فى كل خطوة طبقةً للطقوس
المتبعة للفرح ، وكذلك تكون الأغنية أيضاً عند تجهيز كل ما يخص
العروسين من شوار وملابس وبناء المنزل الجديد أو عند إعداد لوازم
الفرح من كعك وخلافه . ولو أن هذا النوع يغلب عليه طابع الأداء
الغنائى الارتجالى الحر الذى لا يرتبط بإيقاع معين ، حيث لا مصاحبة
بالطبول ولا بالتصفيق فى أثناء العمل .

ويؤدى هذا اللون غالباً السيدات العجائز ، وهذا ما يضى على
خصائص تحتمها نوعية المؤديات ، حيث يكون الأداء الحر متمهلاً رزيناً
بلا تنظيم أو تحديد لطول الجملة الموسيقية أو قصرها .

والملاحظ أن المؤدى الأول لأغنيات الأفراح فى مصر بشكل عام
هى المرأة ، ويقل دورها نسبياً فى النوبة وعند البدو كما ذكرنا .
ويؤكد العلماء أن أغاني الحب والزواج والأفراح هى من أقدم أنواع
الخلق والإبداع الإنسانى ، وذلك لقدم إحساس الإنسان بالحب وحاجته
إلى أليفة أو شريكة ، وارتباط ذلك بإحساسه بالسعادة والاستقرار ،

وهذا ما يجعلها من أهم وأروع أنواع الإبداع الشعبي ، أما بقية الأنواع الأخرى فقتلوا في الأهمية على حسب طبيعة الأحداث والمناسبات الاجتماعية والإنسانية .

أما الألحان فهي مرحلة مشرقة ونشيطة ذات إيقاع واضح وسرعة معتدلة تتمشى مع طبيعة المناسبة السعيدة . وبنائها اللحنى أكثر تطوراً وفي مساحة لحنية واسعة بالنسبة للأنواع الأخرى من الإبداع الشعبي .

٧- أغاني العمل :

تعتبر أغاني العمل بالنسبة للفلكلوريين وعلماء الدراسات الأنثروبولوجية نوعاً هاماً من الإبداع لشعبى لارتباطه بأهم وظيفة إنسانية وهي العمل ؛ لأن هذا النوع من الأداء الغنائى يعتبر عاملاً أساسياً في التنظيم والمساعدة على إتمام هذا النشاط الإنسانى على أكمل وجه . وأغاني العمل فى كل أنحاء العالم تشترك فى خصائص موحدة ، فهى تتميز بالبساطة والوضوح والإيقاع الداخلى المنتظم ، والنصوص بشكل عام تحوى معانى مشرقة متفائلة تدور حول الإيمان والأمل والصبر وطلب العون والعافية من الله والابستعانة برسوله ، هذا إلى جانب بعض الكلمات والمعانى التى لا يسهل فهمها وتحديد معانيها بدقة مثل (هيللا هوب - هيللا ليصة) وهذا ما يؤكد قدم هذا النوع وتراثية بعض نصوصه التى ربما تمتد جذورها كما يبدو إلى أجدادنا القراعنة ، إلى جانب

بعض الكلمات التي توضع لمجرد الحفاظ على القافية الموحدة والتفجيلة والإيقاع المنتظم ، مما نجده واضحاً في التجاوز عن قواعد اللغة الصحيحة .

كما يلاحظ وجود القافية المفتوحة التي تعطي الحادى مجالاً متسعاً للارتجال والتطويل والتقصير على حسب ما تقتضيه ظروف وطبيعة العمل نفسه . وبهذا فإن النص ينجح تماماً في إتمام وظيفته وهدفه .

أما اللحن الحر الأداء المنتظم الإيقاع فبحسب سرعة إنجاز العمل ، الذى يعتمد على وجود جملة أو لحن أو لازمة أساسية ترددها المجموعة خلف قائد العمل أو الريس أو الحادى على حين يُترك له حرية التصرف والإلقاء والارتجال لبقية الأغنية . وبذلك يتم إنجاز العمل دون الإحساس بالتعب وفى تنظيم محكم لا يخطئ ، كما يلاحظ من الوجهة الموسيقية البحتة أن التداخل والتحاور وتبادل الأداء بين الصوليست والمجموعة يتم بشكل يدعو إلى لدهشة وببساطة شديدة برغم تعقيدته أحياناً من الناحية التكنيكية الفنية ، ولكن الحس الشعبى الموسيقى ينجزه بدقة وسلاسة شديدة .

ومن مِمَّا لم يجد نفسه مشدوداً ومبهوراً وهو يستمع ويشاهد عمال البناء من الصعايدة فى أثناء تقليب الخرسانة أو صعود السقالات ، فى ترابط ممتع بين الرئيس أسفل المبنى والعمال المتناثرين على ارتفاعات مختلفة برغم العناية الشديد وطبيعة هذا العمل المضى ؟

وأغاني لعمل يمكن تصنيفها إلى شكلين مختلفين :

الأول : أغاني جماعية مثل أغاني عمال البناء والزراعة والصيادين والأعمال الأخرى الجماعية ، وهي لا تخرج في تركيبها عن لازمة قصيرة متكررة تؤديها المجموعة على إيقاع حركة العمل المنظم ، على حين يتولى قائد المجموعة أداء بقية النص ، وتنوع الأغنيات على حسب ظروف العمل ونوعه ومكانه وعدد العمال ، فتجد هناك اختلافاً في الشكل والسرعة بين أغنيات العمل مثل جر الشباك وضرب المجاذيف وتقليب المسلح وصعود السقالات ومناولة ورسّ الطوب والحصاد . . . إلخ . ويكون تكرار وطول الأغنية على حسب وقت الاستغراق في العمل ، كل ذلك يتم في اتساق وتآلف بين أفراد جماعة العمل كلها . وإلى جانب تلك الأغاني الجماعية التي تعتمد على الحركة المنتظمة الثابتة أنواع أخرى لا ترتبط بحركة ثابتة ، مثل أغاني جمع القطن ونجهيز شوار (العروسة) ، وبعض أنواع العمل اليدوي الجماعي . وهذه تتميز بالأداء التبادلي بين المجموعات ، فكل مجموعة تؤدي (كوبليه) أو جزءاً أو جملة وتختتمها بشكل حر ، لتدخل المجموعة الأخرى لتؤدي على حسب هواها دوراً مشابهاً وهكذا .

وبالطبع ليست لهذه الأغنيات أية مصاحبة آلية موسيقية أو إيقاعية .
الأخرى : أغاني فردية : وهذا النوع يرتبط بالأعمال ذات الصفة الفردية ، وتكون وظيفتها الأساسية التسلية قطعاً للوقت ، وذلك مثل

أغاني الري بالشادوف والطنبور وأغاني النورج والمحراث والصناعات اليدوية المختلفة وأغاني ربات البيوت في أثناء العمل المترلي .

وهذه الأغنيات حرة الأداء والإلقاء ، ولا ترتبط بإيقاع مصاحب أو إيقاع داخلي منتظم ، بل تترك حرةً تُؤدى كما يحلو لكل مؤد على حسب إمكاناته الصوتية وموهبته وقدرته على التوين والتحكم في الجملة الموسيقية طولاً أو قصراً ، وبينها فترات سكوت قد تطول أو تقصر حسب طبيعة العمل : أى أنها ذات طابع ارتجالي مفتوح .

وهذا النوع من الأغاني أصبح قليلاً جداً وبدأ في الاندثار ، وإن كانت له للآن بعض النماذج التي هي الأخرى في طريقها للاختفاء وخصوصاً بعد أن انتشر الترانزستور في كل مكان بالبيت وفي الغيط ، ونجده الآن معلقاً في المحراث أو الساقية ، وبجوار الطنبور ؛ وأصبح يقوم بالوظيفة الأساسية الأصلية للأغنية الفلكلورية من هذا النوع .

يا قطن بربر وأنا أمسح لك برابريك

من العصر للعصر نتهى بقناطيرك !

وتتميز أغاني العمل بشكل عام بتباين موضوعاتها التي لا تخرج عما سبق أن أشرنا إليه .

٨- أغاني الحجيج :

إن الحج إلى بيت الله الحرام والطواف به يعتبر من أعز الأمنيات إلى

قلب الإنسان المصرى . ويحتفل بهذه المناسبة احتفالاً لا يقل عن حفلات العرس ، وإن كانت فى أيامنا هذه قد تلاشت بصورتها الشعبية ، وإن وجدت فقد تم على شكل حفل دينى يؤجر له أحد المشايخ أو الصيته ، وتقدم فيه التواشيح والقصائد الدينية والمدائح النبوية . أما أغاني الحج التراثية فلم تعد تُقدّم إلا بشكل نادر فى القرى ، وكانت تبدأ عندما يقدمون طلباتهم للحج (بدون قرعة حينئذ) ، ثم الاستعداد له بتجهيز متعلقات ومتطلبات الحاج أو الحاجة من المأكولات والملبوسات ، وطلاء المنزل وتلوينه وتزيينه بالصور والرسوم الشعبية التى تعبر عن ذلك برسم مركب أو طائرة ، ورسم للكعبة وكتابة آيات من الذكر الحكيم ، وعبارات انتهاى والأمنيات بالعودة الطيبة المباركة . والأغنيات بشكلها وتركيبها الموسيقى تتشابه تماماً وأغاني الأفراح الحرة وأغاني العمل الفردية ؛ فهى بذلك لا ترتبط بإيقاع وضبط زمنى معين ، وليست لها مصاحبة إيقاعية من أى نوع . وتلك الأنواع المتشابهة تركيبياً وأداءً يكون النص فيها هو الذى يحدد نوعيتها وتصنيفها .

وأغاني الحج لها نوعان من النصوص : أحدهما يؤدى قبل سفر الحاج وفى أثناء توديعه ، والأخرى بعد عودته وذلك فى موكب حافل بالتكبيرات والمدائح بصحبة الأهل والأحباب حتى محطة القيام ، أو من محطة الوصول إلى منزله وبالطبع فإن النصوص تتناول المناسبة والرحلة ووصفها ، ومدح الرسول والأمنيات الطيبة للحاج برحلة سعيدة ،

أو تهتة بعودة سالمة ، وأن يتقبل الله رجاءه ، ويطلبون من الله أن يكونوا هم أيضاً من الموعودين بزيارة قبر الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) .

جنب حرم النبي ، والله	قعدنا	رَبَاعَةَ
جه المطوف يقول	عايزين	إيه يا جماعة
دحنا زوار النبي	طالبين	الشفاعة
كُونُ رايق مرووق	يا بَحْرُ	يا بَحْرُ
كون رايق مرووق	ولا يمك	عَكْرُ
ولا ربح معوق	يا هنا	اللى انوعد

(الجميزة - غربية ١٩٦٧)

وهذه الأغنيات لا يؤديها سوى النساء وخصوصاً كبيرات السن ، ولا يشارك فيها الرجال أو الفتيات .

٩ - العديد :

هذا النوع من الترنيمات التي يطلق عليها أغنى العديد - إن جاز أن نعتبرها أغاني - تتشابه تماماً من الوجهة الموسيقية السحنة وأغاني الحجيج والعمل الفردي الحر وبعض أغاني الأفراح ، وذلك في أسلوب البناء والتركيب اللحني والأداء الغنائي . وكما سبق أن أشرنا فإن النص فقط هو الذي يفرق بين تلك الأنواع . وهذا النوع أيضاً قد بدأ في الاندثار وطواه

النسيان وخصوصاً بعد أن اختفت إحدى المهن الشعبية وهي (المعددة- الندابة) تبعاً لانتشار الثقافة ووسائل التنوير- إلى حدما- في مختلف أنحاء مصر ، إلى جانب تحريم الدين ممارسة هذا النوع ولا سيما بالصورة الزئدة على حدود الشرع والسنة .

والأداء عبارة عن تنغيم بعض الكلمات أو الأشعار الشعبية من البكائيات ، في قالب حر ارتحالي ، معدداً مناقب المتوفى إلى جانب ذكر بعض المعاني التي تدعو إلى الإيمان بالقضاء والقدر ، وأن الكل يموت ولبس بياق سوى وجه الله الكريم .

بعد أن ألقينا الضوء باختصار على الأنواع التسعة السابقة من مجموعات الأغاني الفلكلورية المصرية ، على حسب تصنيفها من الناحية الوظيفية - نلاحظ أنها جميعاً ترتبط بمناسبات معينة ، وبوظيفة محددة اجتماعية لا تنفصل عنها طبقاً للطقوس والعادات والتقاليد المتبعة لكل منطقة ، هذا إلى جانب العامل الترفيهي للأغنية والموسيقى .

وهناك أنواع أخرى من لغناء الشعبي الذي لا يرتبط بمناسبات محددة وليس لها طقوس معينة ، ولكنها تؤدي في أي وقت وأي مكان ، وترتبط بمغزٍ أو مؤد واحد منفرد تصاحبه في أغلب الأحيان آلات موسيقية وإيقاعية شعبية لعازفين محترفين ، ولتصبح بذلك الجماعة مجرد مستمعين فقط بلا أدنى مشاركة أو ممارسة جماعية مثل الملاحم والقصص الشعبية والسير والقصائد والموشحات الدينية والمدائح والطقاطيق ، إلى

جانب الموال بأنواعه وأشكاله المختلفة .

وهذه الأنواع تعتبر من وجهة نظرنا - أغاني شعبية أو إنتاجاً غنائياً شعبياً - بالدرجة الأولى ، وليست بالضرورة فلكلورية (كما سبق أن أوضحنا في بداية حديثنا) إلا في جزء يسير جداً منها ، وهو الذي يرتبط بأسلوب معين في الأداء . وشكل محدد في التركيب ، ويرتبط بنصوص هي بالتأكيد تراثية أو من الإرث الشعبي الذي وصلنا من الأسبقين . أما الأجزاء الحرة الارتجالية والمبتكرة ، والتي ترتبط بمؤدين محترفين فرديين لهم أسلوبهم وطابعهم الخاص - هذا إلى جانب النصوص المؤلفة والملحنة والمرجلة حديثاً بفنانين شعبيين معروفين ومتخصصين في هذا اللون - فهي تخلع بذلك عن نفسها أهم اخصائص التي تجعلنا من الوجهة العلمية نعتبرها فلكلوراً خالصاً ؛ ومن ثم فهي ليست موضوعنا الذي نظرقه في هذا الكتاب ؛ كما أن كل نوع من الأنواع المشار إليها الآن يستحق في الواقع دراسة كاملة منفردة .

رقم الإيداع	١٩٧٨/٥٢٩٣
الترقيم الدولي	ISBN ٩٧٧-٢٤٧-٥٣٨-٣

١/٧٨/٢٨٢

طبع بمطابع دار المعارف (ج. م. ع.)



تقدّم

خصم ٢٠٪ على كتب دار المعارف
١٠٪ على كتب الفيرعربية ومستوردة
٥٪ على الكتب الجامعية

لأصدقاء دار المعارف
مرحباً بك صديقاً لنا

تقدّم إلى أقرب مكتبة من مكبات الدار :

- اطلب نموذج طلب الصداقة واستلم بطاقة الصديق
- ارفع مبلغ جنيني واحد
- عندما تصل مشترياتك إلى ٢٥ جنيناً سيرد إليك الجنيه
- تمتع بمميزات الصداقة طالما تحمل بطاقة الصديق

مكبات دار المعارف
منتشرة في المدن الكبرى

القاهرة ~ الإسكندرية ~ طنطا ~ شبين الكوم ~ الزقازيق ~ المنصورة
الإسماعيلية ~ العريش ~ أسسوط ~ سوهاج ~ قنا ~ أسوان